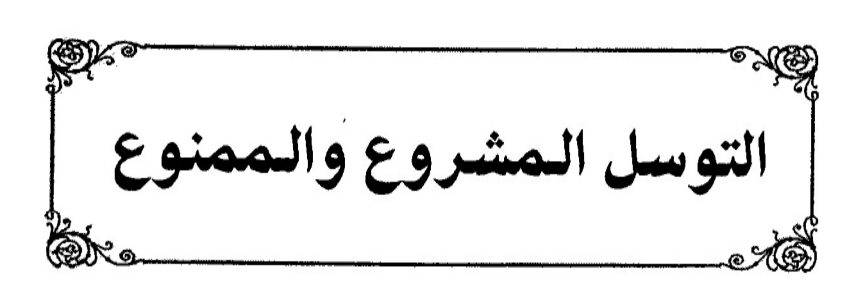


التوسل المشروع والممنوع

إعـداد

د. عواد عبدالله المعتق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

أما بعد : فمن المعلوم أن أي عمل يقوم به الإنسان لا يكون مقبولاً عند الله تعالى حتى يتوفر فيه شرطان :أحدهما : أن يكون خالصاً لوجه الله .

الثاني : أن يكون موافقاً لسنة نبيه ﷺ .

ونظراً لأن التوسل البدعي يخلّ بالشرط الثاني ، بل إنه وسيلة قد تفضي إلى الشرك وقد أشكل فهمه على كثير من الناس ، مما أوقع الكثير فيه.

لذا أحببت أن أكتب لمحة موجزة حول التوسل المشروع والممنوع.

تتلخص فيما يلي : تمهيد : في تعريف التوسل والوسيلة.

المبحث الأول : التوسل المشروع :

تعريفه :

أنواعه :

الأول : التوسل بأسماء الله وصفاته.

الثاني : التوسل بالأعمال الصالحة.

الثالث : التوسل إلى الله بدعاء الصالح الحي.

الرابع : التوسل إلى الله بذكر الحال.

المبحث الثاني : التوسل الممنوع :

تعريفه :

أنواعه :

الأول : التوسل بوسيلة نص الشارع على بطلانها : مثاله - حكمه - الدليل.

الثاني : التوسل بوسيلة : دلت قواعد الشرع على بطلانها ومن أنواعه :

١- التوسل إلى الله بذات مخلوق ، مثاله.

٢- التوسل إلى الله بجاه مخلوق أو حقه ونحوهما ، مثاله.

٣- التوجه إلى ميت طالباً منه أن يدعو الله له ، مثاله.

٤- أن يسأل العبد ربه حاجته مقسماً بنبيه أو وليه أو بحق نبيه أو وليه ونحوهما ، مثاله

حكم هذا النوع من التوسل :

الأدلة على منعه :

عرض ما تيسر من شبهات من قال به مع المناقشة.

أولاً : شبهاتهم فيما استدلوا به من القرآن .

ثانياً : شبهاتهم فيما استدلوا به من السنة ومن أقوال وأفعال الصحابة

والتابعين.

ثالثاً : شبهاتهم من العقل.

وأخيرا أسأله تعالى أن يتقبل صوابه وأن يتجاوز عن خطئه إنه سميع مجيب ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

تمهيد : في تعريف التوسل والوسيلة

أما التوسل فهو في الأصل : التقرب. يقال توسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل.

كما يأتي ويراد به : السرقة . يقال : أخذ فلان إبلي توسلاً : أي سرقة.

وفي الشرع : هو التقرب إلى الله تعالى بقربة مشروعة.

وأما الوسيلة : فهي في الأصل : ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به.

كما تأتي ويراد بها : المنزلة عند الملك ، والدرجة.

وفي الشرع : ما يتقرب به إلى الله رجاء حصول مرغوب أو دفع مرهوب من فعل الواجبات والمستحبات أو ترك المنهيات[1].

وتكون مشروعة ،كما تكون ممنوعة ، إن كانت وردت في الكتاب أو صحيح السنة فهي مشروعة . وإلا فهي ممنوعة.

وعليه فالتوسل قسمان :

- توسل مشروع.
- وتوسل ممنوع.

---

(١) انظر : لسان العرب مادة وسل جـ٣ ص ٩٢٧ والقاموس المحيط جـ ٤ ص ٦٤ والنهاية لأبن الأثير جـ٥ ص ١٨٥ وقاعدة جليلة ص ٤٨ ، وروح المعاني جـ٦ ص ١٢٤ ورسالة الشرك ومظاهره ص ٢٠٢.

المبحث الأول : التوسل المشروع

المراد به : هو تقرب العبد إلى الله بوسيلة وردت في الكتاب أو صحيح السنة ومن أنواعه ما يلي :

النوع الأول : التوسل بأسماء الله وصفاته.

بيانه : هو التوسل إلى الله بالاسم المقتضي لمطلوبه أو بالصفة المقتضية له[1].

مثاله : كأن يقول في دعائه : اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تعطيني كذا أو تدفع عني كذا ، أو يقول : اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم ، اللطيف الخبير أن تعافيني ، أو يقول : اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي[2] ونحو ذلك.

*** أدلة مشروعيته :**

لقد دل على مشروعية التوسل بأسماء الله وصفاته ـ أدلة كثيرة من الكتاب والسنة.

---

(١) الجواب المختار ص ٥٠.

(٢) انظر : التوسل للألباني ص ٣٢ . وقاعدة جليلة ص ٥٢ – ٥٣.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

وجه الدلالة: أن الله سبحانه وتعالى: أمرنا أن ندعوه متوسلين بأسمائه الحسنى، وأسماؤه - سبحانه - متضمنة لصفاته فتكون داخلة في هذا الطلب[2]. وبذلك يتضح دلالة الآية على مشروعية التوسل بأسمائه وصفاته.

ومن السنة:

١- قوله ﷺ في أحد الأدعية الثابتة عنه قبل السلام من صلاته ﷺ (اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خير لي وتوفني إذا علمت الوفاة خير لي ... الحديث)[3].

٢- ومنها: ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا كربه[4] أمر يقول: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»[5].

---

(١) آية: ١٨٠ سورة الأعراف.

(٢) انظر: التوسل للألباني ص ٣٢.

(٣) أخرجه النسائي في السهو باب نوع آخر من الدعاء وإسناده جيد. انظر: جامع الأصول حديث ٢١٨٤.

(٤) أي إذا أهمه.

(٥) أخرجه الترمذي في الدعوات باب ٩٩ انظر: جامع الأصول حديث ٢٢٩٧.

٣- ومنها ما رواه أبن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « من كثر همه فليقل : (اللهم إني عبد ك ، وابن عبدك وابن أمتك ، و في قبضتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيّ حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سَمّيت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في مكنون الغيب عندك : أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، وجلاء همي وغمي) ما قالها عبد قط إلا أذهب الله غمه ، وأبدله به فرحاً »[١].

٤- ومنها : ما رواه أنس بن مالك أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ، ورجل يصلي ثم دعا الرجل فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت المنان ، بديع السماوات والأرض ، ذو الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : (أتدرون بم دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : والذي نفسي بيده ، لقد دعا الله بإسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى)[٢][٣].

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم ٣٧١٢ ، ٤٣١٨ وصححه ابن حبان برقم ٢٣٧٢ ، عن عبد الله بن مسعود ، وانظر جامع الأصول حديث ٢٣٠٠ (المتن والحاشية).

(٢) رواه أبو داود في الصلاة باب الدعاء ، والترمذي في الدعوات باب رقم ١٠٩ والنسائي في السهو باب الدعاء بعد الذكر وإسناده صحيح . انظر جامع الأصول حديث ٢١٤٣.

(٣) انظر : التوسل للألباني ص ٣٢ — ٣٥ ، وكشف ما ألقاه إبليس ص ٩٢.

هذه نبذة يسيرة من أحاديث كثيرة كلها تدل على مشروعية التوسل إلى الله باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته ؛ ذلك أنها من قول الرسول ﷺ أو إقراره ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿... وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ... الآية ﴾[1] . ويقول سبحانه : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ... الآية ﴾[2] ، وبذلك دلت على مشروعية التوسل بالأسماء الحسنى والصفات العلى.

* * *

(١) آية : ٧ سورة الحشر.

(٢) آية : ٩٢ سورة المائدة.

النوع الثاني : التوسل بالأعمال الصالحة :

وهو التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به وطاعته ، ويدخل في ذلك كل عمل قام به العبد بقلبه أو لسانه أو جوارحه خوفاً من الله أو رجاءً له وحده - لا لدافع آخر.

كيفيته : هو أن يتذكر الداعي عملاً صالحاً قام به لله وحده لا لدافع آخر . بعد أن يتذكر العمل يتوجه إلى ربه متوسلاً بهذا العمل في أن يعطيه أو يدفع عنه.

مثاله : كأن يقول المسلم : اللهم بإيماني بك واتباعي لرسولك إغفر لي ، أو يقول : اللهم إنك تعلم بأني عملت كذا - ويسمى عملاً قام به لله وحده - اللهم إن كنت عملته رجاءاً لثوابك وخوفاً من عقابك فأعطني كذا أو ادفع عني كذا ، ونحو ذلك.

أدلة مشروعيته :

لقد دل على مشروعية التوسل بالعمل الصالح أدلة كثيرة من الكتاب والسنة منها ما يلي :

أولاً : الأدلة من الكتاب : منها :

١- قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1].

٢- وقوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾[2] .

٣- وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[3].

وجه الدلالة : في الآيات الثلاث توسل بالإيمان ، وهو عمل صالح من أعمال القلب وذلك دليل على مشروعية التوسل بالعمل الصالح.

٤- وقوله تعالى : ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[4].

وجه الدلالة : في الآية توسل بالإيمان واتباع الرسول ﷺ وهي من أعمال القلب والجوارح الصالحة ، وبذلك دلت الآية على مشروعية التوسل بالعمل الصالح.

---

(١) آية ١٦ آل عمران.

(٢) آية ١٩٣ آل عمران.

(٣) آية ١٠٩ المؤمنون.

(٤) آية ٥٣ آل عمران.

٥- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾(١).

وجه الدلالة: في الآيتين توسل برفع القواعد من البيت الحرام، وهو عمل صالح؛ ذلك أنه استجابة لأمر الله لهما بذلك.

٦- وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾(٢).

وجه الدلالة: في الآية توسل بالسمع والطاعة وامتثال أمره سبحانه والقيام بما تقتضيه هذه الطاعة من فعل الأوامر وترك النواهي استجابة لأمره سبحانه وهي من الأعمال الصالحة.

فهذه الآيات وغيرها الكثير كلها أدلة على مشروعية هذا النوع من التوسل(٣).

---

(١) آية ١٢٧ - ١٢٨ - البقرة.

(٢) آية ٢٨٥ البقرة.

(٣) انظر: قاعدة جليلة ص ٥، ١٤، ١٢٢ - ١٢٣ وشرح الطحاويه ص ٢٦٤ والتوسل للألباني ص ٣٥ - ٣٦ والتوصل ٦٥، ٦٨، ٧٩.

ثانياً : الأدلة من السنة وهي كثيرة جداً : منها ما يلي :

١- روى بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول : (اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فقال : والذي نفسي بيده ، لقد سأل الله باسمه الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى) ، هذه رواية الترمذي ، وفي رواية أبي داود : (باسمه الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعي به أجاب)[1].

وجه الدلالة : في الحديث ـ كما نرى ـ توسل بالإقرار والتصديق بشهادة التوحيد ، ووصفه سبحانه بأخص الصفات وهي من أعمال القلب واللسان الصالحة.

٢- قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة ﷺ قال : قال ﷺ : (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ، فإذا أراد أن يضطجع ، فليضطجع على شقه الأيمن ، وليقل : سبحانك ربي باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فأرحمها ، وإن أرسلتها

---

(١) رواه الترمذي برقم ٣٤٧١ ، وأبو داود برقم ١٤٩٣ ، وانظر جامع الأصول حديث ٢١٤١.

فأحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)[١].

وجه الدلالة : في الحديث ، وصية من المصطفى ﷺ للمضطجع أن يقدم بين يدي دعائه توسلاً إليه سبحانه بتسبيحه وتنزيهه ، واعتقاد صادق بأنه لا يضع جنبه أو يرفعه إلا بعون من الله تعالى ، ولا شك أن هذا المتوسل به من أعمال اللسان والقلب الصالحة.

٣- ما رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي أن أبا بكر الصديق ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ، علمني دعاءاً أدعو به في صلاتي قال : (قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم)[٢].

وجه الدلالة : في الحديث توسل بأمرين :

الأول: بالاعتراف بالذنب وهو يتضمن : الندم على فعل الذنب ، والتوبة والإقلاع عن فعله.

الثاني : بالإيمان بأنه لا يغفر الذنوب إلا الله ، وهذان من أعمال القلب

---

(١) رواه البخاري في التوحيد باب السؤال بأسماء الله ، ومسلم في الذكر والدعاء باب ما يقول عند النوم وانظر جامع الأصول حديث ـ ٢٢٥٦.

(٢) رواه البخاري في صفة الصلاة باب الدعاء قبل السلام. ومسلم برقم ٢٧٠٥ في الذكر والدعاء باب استحباب خفض الصوت بالذكر. والترمذي برقم ٣٥٢١ ، والنسائي في السهو باب نوع آخر من الدعاء ، وانظر : جامع الأصول حديث ٢١٨٦.

واللسان والجوارح الصالحة.

٤- قوله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت إلى غارٍ ، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار. فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ، قال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً ، فنأى بي طلب شجرٍ يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما ، فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً ، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر) زاد بعض الرواة : (والصبية يتضاغون عند قدمي - فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج. قال : النبي ﷺ. قال الأخر: اللهم كانت لي ابنة عم ، كانت أحب الناس إلي فأردتها على نفسها ، وامتنعت مني ، حتى ألمت بها سنة من السنين ، فجاءتني ، فأعطيتها عشرين ومائة دينار ، على أن تخلي بيني وبين نفسها ، ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها قالت : لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه ، فتحرجت من الوقوع عليها ، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي ، وتركت الذهب الذي أعطيتها ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت

الصخرة ، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها ، قال النبي ﷺ وقال الثالث : اللهم استأجرت أجراء ، وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ، ترك الذي له وذهب فثمّرت أجره حتى كثرت منه الأموال ، فجاءني بعد حين ، فقال : يا عبد الله ، أدّ إلي أجري ، فقلت : كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر ، والغنم ، والرقيق ، فقال : يا عبد الله ، لا تستهزئ بي ، فقلت : إني لا أستهزئ بك ، فأخذه كله فاستاقه ، فلم يترك منه شيئاً. اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون)[1].

وجه الدلالة : الحديث يدل على مشروعية التوسل إلى الله بصالح الأعمال من وجهين :

الأول : أن هؤلاء الثلاثة عند ما توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم استجاب الله لهم ، ولو كان التوسل إلى الله بصالح العمل غير مشروع لم يستجب لهم.

الثاني : أن الرسول ﷺ أقره وذكره في معرض الثناء عليهم ، ولو كان غير مشروع لم يقره ﷺ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ومسلم في الذكر ، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة ، وأبو داوود في البيوع ، باب الرجل يتجر في مال الرجل بغير إذنه ، وانظر : جامع الأصول حديث ٧٨٢٢.

يقول الإمام النووي - في معرض شرحه لهذا الحديث - : (استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل إلى الله تعالى به ؛ لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم)[(١)].

ثالثاً : الأدلة من عمل الصحابة :

من المعلوم أن الصحابة الذين هم خيرة هذه الأمة بعد نبيها إنما نالوا هذا الخير لالتزامهم بأمر الله أمراً ونهياً ، فكل عمل يعملونه إنما هو تطبيق لما شرعه الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، لذا كان إيراد أمثلة من توسلاتهم بالعمل الصالح أدلة تؤكد مشروعية هذا النوع من التوسل.

وتجنباً للإطالة سنكتفي بمثالين من أعمالهم رضي الله عنهم.

المثال الأول : ما رواه الطبري عن ابن وكيع قال : حدثنا أبي عن حريث ابن أبي مطر عن إبراهيم بن حاطب عن أبيه قال : (سمعت رجلاً في السحر في ناحية المسجد ، وهو يقول : ربي أمرتني فأطعتك ، وهذا سحر فأغفر لي، فنظرت ، فإذا ابن مسعود)[(٢)]. يشير ﷺ في قوله (وهذا سحر ....) إلى الحديث الشريف : وهو (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا

---

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي جـ ١٧ ص ٥٦.

(٢) رواه الطبري في تفسيره جـ ٦ ص ٢٦٦ ونقله عنه ابن كثير في تفسيره جـ ٢ ص ١٨. ورواه القرطبي في الأحكام ج ٤ ص ٤٠ . وانظر : تفسير ابن مسعود ص ١٥٧، ١٥٨.

حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له)[١].

وجه الدلالة : في هذا الأثر - كما نرى - توسل ابن مسعود بالقيام بالسحر - وهو من أجل الأعمال الصالحة - في أن يغفر له ، مما يؤكد مشروعية التوسل بالعمل الصالح.

المثال الثاني : ما روي عن عراك بن مالك ﷺ أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم إني أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين) رواه ابن أبي حاتم[٢].

وجه الدلالة : هذا الأثر يفيد أن عراك بن مالك توسل إلى الله تعالى بإجابة دعوة الله إلى الصلاة ، وهي الآذان وبصلاة فريضة الجمعة ، وبانتشاره من بعد الصلاة كما أمره الله وسائر المسلمين في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ...الآية﴾ [٣]، وهذه كلها أعمال صالحة توسل إلى الله تعالى بها في أن يرزقه من فضله ، مما يؤكد مشروعية

---

(١) رواه البخاري في كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، انظر : فتح الباري جـ ٣ ص ٢٩ (المتن).

(٢) انظر : تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٦٧.

(٣) آية ١٠ سورة الجمعة.

التوسل بالعمل الصالح.

النوع الثالث : التوسل إلى الله بدعاء الصالح الحي :

وهو توسل المسلم الذي وقع في ضيق أو حلت به مصيبة بدعاء إنسان يظهر عليه الصلاح والتقوى ، ويتم بطلب من المتوسل ، كما يتم من غير طلب.

مثال الأول : كأن يذهب المسلم الذي حلت به مصيبة وعلم من نفسه التفريط في جنب الله إلى رجلٍ يعتقد فيه الصلاح ويطلب منه أن يدعو الله له أن يرفع عنه ما حل به.

ومثال الثاني : كأن يرى العبد الصالح أخاً له في ضيق وشدة فيدعو الله له أن يفرّج عنه. ويكون في حضور المدعو له ، كما يكون في غيبته ، ولا فرق أن يدعو الأعلى للأدنى ، أو الأدنى للأعلى ، فكل ذلك جائز ومقبول ـ إذا شاء الله سبحانه وتعالى.

مثال الأعلى للأدنى : توسل الصحابة بدعاء نبيهم ﷺ .

ومثال الأدنى للأعلى : طلب الرسول ﷺ من عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم عمرته أن يدعو الله له[1].

---

(١) انظر : قاعدة جليلة ص١٤ ، ٤٣ - ٤٤ والفتاوى جـ١ ص ١٣١ - ١٣٢ ، جـ٢٧ ص ٦٩ والتوسل للألباني ص ٤١.

الأدلـة : لقد دل على مشروعية هذا النوع من التوسل ـ أدلة كثيرة من الكتاب والسنة.

أولاً : الأدلة من الكتاب وهي كثيرة. منها ما يلي :

١- قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾(١).

وجه الدلالة : في الآية إرشاد لمن ظلم نفسه بارتكاب خطيئة إلى سببين ينقذان منها :

الأول : الاستغفار بين يدي النبي ﷺ وهو عمل صالح يقدمه الإنسان وسيلة للاستجابة.

الثاني : استغفار الرسول ﷺ له ، وهذا هو محل الشاهد إذا هو توسل بدعائه ﷺ. وعليه فكل إنسان يصح له أن يتوسل بدعاء أخيه كأن يقول : أستغفر لي ، أو يدعو لأخيه كأن يقول اللهم اغفر لفلان.

ومما يجب التنبيه عليه أن المجيء في الآية المراد به : مواجهته ﷺ وهو حي لا المجيء إلى قبره ؛ لأن استغفاره ﷺ قد انقطع بوفاته ، وعليه فلا يجوز المجيء إلى قبره أو قبر أحد من الصالحين لأجل سؤالهم أن

---

(١) آية ٦٤ سورة النساء.

يستغفروا الله لنا من ذنوب اقترفناها[1].

٢- قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾[2].

وجه الدلالة: في الآية الأولى إخبار من الله تعالى بأن إخوة يوسف عليه السلام طلبوا من أبيهم أن يستغفر الله لهم عما بدر منهم من أخطاء نحو أخيهم يوسف وأبيهم. وهو توسل بدعائه عليه السلام.

ثم في الآية الثانية: استجابة من يعقوب عليه السلام لطلبهم حيث وعدهم بالاستغفار.

مما يدل على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي؛ ذلك أن العقيدة واحدة لا تتغير من آدم إلى محمد ﷺ[3].

٣- قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ

---

(١) انظر: تفسير ابن سعدي جـ ٢ ص ٤٤ وقاعدة جليلة ص ١٣٧، والتوصل ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) آية ٩٧، ٩٨ سورة يوسف.

(٣) انظر تفسير النسفي جـ ٢ ص ١٢٩، وروح المعاني جـ ١٣ ص ٥٥ - ٥٦ وتفسير ابن سعدي ج ٤ ص ٩٩.

أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ﴾[١].

وجه الدلالة : يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه بأن المخلفين من الأعراب سيعتذرون بأموالهم وأهليهم ، ويطلبون من رسول الله ﷺ الاستغفار لهم وهو توسل بدعائه ﷺ ، وهذا الطلب - وإن كان مصانعة وتقية - فإنه يدل على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي من وجهين :

الأول : أنهم طلبوه ولولا علمهم بمشروعيته لما طلبوه.

الثاني : أن النبي ﷺ أقرهم على ذلك ، ولو كان غير مشروع لاعترض على طلبهم[٢] ، وبذلك دلت الآية على مشروعية هذا النوع من التوسل ، والله أعلم.

ثانياً : الأدلة من السنة ، وهي كثيرة ، منها ما يلي :

١ - عن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو باب دار القضاء - ورسول الله ﷺ قائم يخطب - فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً ثم قال : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا. فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا.

---

(١) آية ١١ سورة الفتح.

(٢) انظر : تفسير ابن سعدي جـ ٧ ص ١٧٧ والتوصل ص ١٤٧.

قال: أنس ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت ، فلا والله ما رأينا الشمس ستاً. ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة - ورسول الله ﷺ قائم يخطب - فاستقبله قائماً. فقال : يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها عنا. قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر. قال : فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس)[1].

وجه الدلالة : يفيد الحديث أن المسلمين في عهد رسول الله ﷺ أصابهم جدب فتقدم أحدهم إلى رسول الله ﷺ طالباً منه أن يدعو الله أن يغيثهم ، فدعا الله فأغيثوا ، ثم تقدم إليه هو أو غيره طالباً أن يدعو الله أن يمسكه عنهم فدعا الله فانجاب السحاب عن المدينة. كل هذا يدل على مشروعية التوسل بدعاء الصالح[2] الحي لا بذاته أو جاهه ، إذ لو كان ذلك مشروعا لأرشدهم ﷺ إليه. عندما شكوا الجدب ، ولما احتاج منهم المجيء إلى النبي ﷺ أكثر من مرة ، إذ التوسل بالجاه أو الذات لا يحتاج إلى ذلك.

---

(١) رواه البخاري برقم ١٠١٣ ، ١٠١٤ في كتاب الاستسقاء باب ٦ ، ٧.

(٢) انظر : فتح الباري جـ ٢ ص ٥٠٦.

٢- عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: استأذنت رسول الله ﷺ في العمرة فأذن لي وقال: (لا تنسنا يا أخيّ من دعائك).

وفي رواية قال: «أشركنا يا أخيّ في دعائك). قال عمر: فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا»[1].

وجه الدلالة: في الحديث دلالة على أمرين:

الأول: على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي حيث أكد ﷺ على عمر أن يدعو له في قوله (لا تنسنا يا أخيّ من دعائك) ذلك أن أقواله ﷺ من السنة التي هي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله.

الثاني: أن التوسل بدعاء الصالح كما يكون بدعاء الأعلى يكون بدعاء الأدنى حيث طلب ﷺ وهو الأعلى من عمر أن يدعو له[2].

وفيه دلالة أيضاً على مبلغ حرصه ﷺ على الخير وعلى تعليم أمته إياه.

٣- عن عثمان بن حنيف ﷺ: (أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ، فقال: أدع الله أن يعافيني، فقال: إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذاك

---

(١) رواه أبو داود برقم ١٤٩٨ في الصلاة باب الدعاء، والترمذي برقم ٣٥٥٧ في الدعوات باب ١٢١ وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، انظر: جامع الأصول حديث ٦٤٤٤.

(٢) انظر الفتاوي جـ ٢٧ ص ٦٩.

فهو خير. (وفي رواية : وإن شئت صبرت ، فهو خير لك) ، قال : فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ، ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيّك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي ، اللهم فشفّعه فيّ) قال ففعل الرجل فبرأ[1].

وجه الدلالة : الحديث يدل على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي من وجوه :

أحدها : أن الأعمى أتى النبي ﷺ ، شاكياً ما هو فيه من ضر وسأله أن يدعو له. ولولا علمه بمشروعيته لما أتى وسأل.

الثاني : أن الرسول ﷺ خيّره بين الصبر وبين الدعاء ثم أقره حيث أصر على الدعاء ، ولو لم يكن مشروعاً لما خيره ثم أقره.

الثالث : دعاء الرسول ﷺ له ، ويفهم من أمور منها :

١- قوله ﷺ : (إن شئت دعوت لك ، وأن شئت صبرت ، ثم قول الأعمى - فادعه).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم ١٧٢٤٠ ، ورقم ١٧٢٤١ ، انظر المسند جـ ٢٨ ص ٤٧٨ ، ٤٧٩ والترمذي برقم ٣٥٧٣ في الدعوات باب من أدعية الإجابة وإسناده صحيح ، وقد صححه غير واحد من العلماء - انظر : جامع الأصول حديث ٢٣٧٥ (المتن والحاشية) .

٢- تعليمه دعاء يدعو به يكون بجانب دعاءه ﷺ وما تضمنه من قوله (... اللهم فشفعه فيّ) وهذا لا يكون إلا إذا كان ﷺ داعياً له.

من كل ما ذكرنا يتضح أن الحديث يدل دلالة صريحة على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي، أما ما ورد في الحديث من قوله (بنبيك) فالمراد منه بدعاء نبيك ـ بدليل قوله:

إن شئت دعوت لك، وقوله (اللهم فشفعه في)[1].

ثالثاً : الأدلة من أفعال الصحابة (رضي الله عنهم) وهي كثيرة منها ما يلي :

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال : فيسقون)[2] وقد روي عن ابن عمر أن هذا الاستسقاء كان عام الرمادة[3].

وجه الدلالة : يفيد الأثر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام الرمادة استسقى بالعباس بن عبد المطلب ـ أي بدعائه ـ مثل ما كانوا يعملون مع رسول الله ﷺ طلبوا منه أن يدعوا الله أن يغيثهم. ويؤكد ذلك الواقع فقد أخذ يدعو[4] وهم

---

(١) انظر : قاعدة جليلة ص ٩٩، والتوسل للألباني ص ٧٦ – ٧٩.

(٢) رواه البخاري برقم ١٠١٠ في كتاب الاستسقاء باب ٣.

(٣) انظر : فتح الباري جـ ٢ ص ٤٩٧.

(٤) انظر : فتح الباري جـ ٢ ص ٤٩٧.

يؤمنون - ولو كان المراد بجاهه. لاختار جاه الرسول ﷺ فهو أعظم. لكن نظراً لأنه بالدعاء، والدعاء لا يمكن من الرسول ﷺ لوفاته فاختار لذلك التوسل بدعاء العباس وقد أقره الصحابة على ذلك فكان إجماعاً، والإجماع حجة قاطعة عند الجمهور[1]، فتأكد بذلك مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي لا بجاهه أو ذاته.

٢- روى أبو زرعه الدمشقي، ويعقوب بن سفيان في تاريخيهما، وابن الجوزي في صفة الصفوة عن سليم بن عامر الخبائري (أن الشام قحطت، فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر، قال : أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فناداه الناس، فأقبل يتخطى، فأمره معاوية فصعد المنبر فقعد عند رجليه، فقال : معاوية : اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود، يا يزيد ارفع يديك إلى الله، فرفع يديه، ورفع الناس، فما كان أوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنها ترس، وهبت لها ريح، فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم)[2].

---

(١) انظر : قاعدة جليلة ص ١٠٤، ١٣١، وروضة الناضر ص ٦٧.

(٢) قال ابن حجر في الإصابة (أخرجه أبو زرعه الدمشقي ويعقوب بن سفيان في تاريخيهما بسند صحيح عن سليم بن عامر، انظر : الإصابة جـ٣ ص ٦٣٤، و صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٠٢، وقاعدة جليلة ص ١٢٦ .

وجه الدلالة : ما ورد في الأثر من قوله : (اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا ... إلى قوله (يا يزيد ارفع يديك إلى الله) يدل على أن معاوية ﷺ توسل بدعاء صالح حي ، ولولا علمه بمشروعيته لما عمله ولو علم أن التوسل بما سوى الدعاء من جاه أو ذات جائز لما عدل عن النبي ﷺ إلى ما سواه - فهو من الصحابة الذين هم أعلم هذه الأمة بشرع الله وأحرصهم على الالتزام به.

النوع الرابع : التوسل إلى الله بذكر الحال.

وهو أن يتوسل إلى الله بذكر حال الداعي المبينة لاضطراره وحاجته.

مثاله : توسل موسى عليه السلام بذكر حاله - بعد أن سقى للمرأتين من ماء مدين.

الدليل على مشروعيته : قوله تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [(١)(٢)].

وجه الدلالة : أن في الآية بيان أن موسى عليه السلام بعد أن سقى للمرأتين تولى إلى الظل تم توجه إلى ربه - مبيناً افتقاره للخير الذي يسوقه إليه.

---

(١) آية ٢٤ سورة القصص.

(٢) انظر : الجواب المختار ص ٥٠.

وهذا سؤال منه بحاله[١] وقد استجاب الله دعائه قال تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ... الآية﴾[٢] وذلك دليل على مشروعية التوسل بذكر الحال.

* * *

---

(١) انظر: تفسير ابن سعدي جـ ٦ ص ١١.

(٢) آية ٢٥ سورة القصص.

المبحث الثاني : التوسل الممنوع

تعريفه : هو تقرب العبد إلى الله بما لم يثبت في الكتاب ولا في صحيح السنة أنه وسيلة.

أنواعه : التوسل الممنوع نوعان:

النوع الأول : التوسل بوسيلة نص الشارع على بطلانها :

مثاله : توسل المشركين بآلهتهم.

حكمه : شرك أكبر.

وبطلانه ظاهر : قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[1][2].

النوع الثاني : التوسل بوسيلة دلت قواعد الشرع على بطلانها :

ومن ذلك ما يلي :

١- التوسل إلى الله بذات مخلوق. مثاله : أن يقول المتوسل : اللهم إني أسألك بنبيك ـ ولا يعني إلا ذاته ـ أن تعطيني كذا أو تدفع عني كذا.

---

(١) آية ٣ سورة الزمر.

(٢) انظر : قاعدة جليلة من ١١ – ١٢ ، ١٦ وأضواء البيان جـ ٧ ص ٤٣ والجواب المختار ص ٥١ .

٢- التوسل إلى الله بجاه مخلوق أو حقه ونحوهما.

مثاله : أن يقول المتوسل : اللهم إني أسألك بجاه نبيك أو بحق نبيك أن تعطيني كذا أو تدفع عني كذا.

٣- التوجه إلى ميت طالباً منه أن يدعو الله له كمن يأتي إلى الميت من الأنبياء أو الصالحين ويقول له سل الله لي أو ادع الله لي أن يعطيني كذا أو يدفع عني كذا.

٤- أن يسأل العبد ربه حاجته مقسماً بنبيه أو وليه أو بحق نبيه أو وليه ونحو ذلك.

مثاله : أن يقول : اللهم إني أسألك كذا بوليك فلان أو بحق نبيك فلان ويريد الإقسام أو يقول: اللهم إني أقسمت عليك بفلان أن تقضي حاجتي[1].

حكم هذا النوع من التوسل : محرم : لأنه لم يرد فيه دليل تقوم به الحجة، ولأنه ذريعه[2] إلى الشرك.

وقد يصل إلى الشرك الأكبر إن اعتقد في المتوسل به شيئاً من النفع أو

---

(١) انظر : قاعدة جليلة ص ٣٣،٣٤،٥٠،٥٥،١٤٩،١٩،٢٠ والتوسل للألباني ص ٤٧ والقول الجلي ص ٢٩ وفتاوي اللجنة الدائمة جـ ١ ص ٣٤٢ ، ٣٤٤ـ ٣٤٥.

(٢) ذلك أن فيه إطراء للمتوسل به يجر شيئاً فشيئاً إلى اعتقاد أن فيه نفعاً من دون الله ومن ثم يحصل دعاؤه فيقع في الشرك. انظر قاعدة جليلة ص٣٣ ، ٣٤ والقول الجلي ص ٢٩.

الضر دون الله[١] .

وقد أجاز بعض[٢] المتأخرين هذا النوع من التوسل متمسكين ببعض الشبهات.

وإليك بعض الأدلة على منعه ثم عرض ما تيسر من شبهات من قال به مع المناقشة :

أولاً : الأدلة على منعه : وهي كثيرة منها ما يلي :

الدليل الأول : هذا النوع من التوسل لم يرد له دليل في الكتاب ولا في صحيح السنة ونحن مأمورون بالالتزام بهما وعليه فهو غير مشروع وإنما هو بدعة ممنوعة وقد قال ﷺ : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[٣].

---

(١) انظر : قاعدة جليلة ص ٢٠ ، ٣٣ ، ٥٠ والتوسل للألباني ص ٤٦ والقول الجلي ص ٢٨-٢٩ والجواب المختار ص ٥١ وفتاوي اللجنة الدائمة جـ ١ ص ٣٣٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧.

(٢) انظر : الضياء الشارق ص ٤٦٤ ، ٤٧٤ والتوسل محمد الفقي ص ١٤٦ ، ١٥٣ وشفاء السقام ص ١٣٣ - ١٣٤ والدرر السنية ص ٢ ، ٦-٨.

(٣) أخرجه البخاري في البيوع باب النجش ، ومسلم في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ، وأبو داود في السنة باب لزوم السنة . وانظر : جامع الأصول حديث ٧٥ (المتن والحاشية).

وقال ﷺ : (... وإياكم و محدثات الأمور... الحديث) [1].

وإن زعم المخالف أنه موجود فيهما أو في أحدهما ، قلنا زعم باطل ، إذ لا دليل عليه ، ومما يؤكد بطلانه أنه لم يعمل به الصحابة ومن أتى بعدهم من أهل القرون المفضلة الذين هم أعلم هذه الأمة ، بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأشدهم حرصاً على الالتزام بهما.

فلو كان موجوداً لعملوا به ، أيضل عنه الصحابة ويهتدي إليه هؤلاء المتأخرون ؟![2].

الثاني: أن هذا النوع من التوسل ذريعة إلى الشرك[3]:

وبما أن الوسائل تابعة للمقاصد في الحكم فهو ممنوع سداً للذريعة وإبعاداً للمسلم من قول أو فعل يفضي إلى الشرك. يقول ابن القيم : (لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها ، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها ... إلى أن قال : فإذا حرم الرب تعالى شيئاً وله طرق

---

(١) جزء من حديث طويل رواه أبو داود في السنة باب لزوم السنة والترمذي في العلم باب ١٦ ، وابن ماجه في المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين وإسناده صحيح ، انظر : جامع الأصول حديث ٦٧ (المتن والحاشيه).

(٢) انظر : قاعدة جليلة ص ١٩، ٢٠، ٥٠، ٧٠، ١٠٥، ١٣١، ١٤٩ والتوسل للألباني : ص ٣٢ ، ٤٦ ، ٤٧ وفتاوي اللجنة الدائمة ج١ ص ٤٦ وروح المعاني ج ٦ ص ١٢٥ - ١٢٧ .

(٣) انظر: قاعدة جليلة ص٣٣ والقول الجلي ص ٢٩ وفتاوي اللجنة الدائمة ج١ ص ٣٤٧.

ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها تحقيقاً لتحريمه ... ومنعاً أن يقرب حماه ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليها لكان ذلك نقضاً للتحريم)[١].

ولذا جاءت أدلة كثيرة في الكتاب والسنة تدل دلالة قاطعة على أن سد الذرائع إلى الشرك والمحرمات من مقاصد الشريعة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ.... الآية﴾[٢] فنهى سبحانه وتعالى المسلمين عن سب آلهة المشركين التي يعبدونها من دون الله مع أنها باطلة لئلا يكون ذلك ذريعة إلى سب المشركين الإله الحق سبحانه انتصاراً لآلهتهم الباطلة - جهلاً منهم وعدواً.

ومن ذلك نهيه ﷺ عن بناء المساجد على القبور، ولعن من فعل ذلك؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثاناً والإشراك بها[٣].

الثالث: أن في هذا النوع من التوسل محذور من وجهين:

الأول: فيه شبه بتوسل المشركين بآلهتهم وقد ذمه الله حيث قال سبحانه

---

(١) أعلام الموقعين جـ٣ ص ١٣٥.

(٢) آية ١٠٨ سورة الأنعام.

(٣) انظر: الفتاوي الكبرى جـ٣ ص ٢٢٣ - ٢٣٠ وأعلام الموقعين جـ٣ ص ١٣٦ - ١٣٧، ١٣٩، ١٥٥ وفتاوي اللجنة الدائمة جـ١ ص ٣٤٥.

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾[١]. ففي الآية عاب سبحانه أمرين :

١- عاب عبادة الأولياء من دونه.

٢- عاب محاولة القربى إليه بالمخلوق ، والتوسل بالذات أو بدعاء الميت من الأمر الثاني. قال شيخ الإسلام ـ عندما سئل عن رجلين تناظرا ـ فقال أحدهما لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله ، فإنا لا نقدر أن نصل إليه بغير ذلك :

فقال : (الحمد لله رب العالمين إن أراد بذلك أنه لا بد من واسطة يبلغنا أمر الله فهذا حق ... ، وإن أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون إليه فيه ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفّر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار)[٢].

الثاني : فيه انتقاص لله سبحانه وتعالى وتنزيل له إلى منزلة المخلوق

---

(١) الآية ٣ سورة الزمر.

(٢) الفتاوى ، جـ ١ ، ص١٢١ – ١٢٣.

الذي يحابي في فضله وحكمه فيعطي من له وسيط أكثر مما يعطي غيره أو يحرم من ليس له وسيط لجهله بحاله وبعده عن سماع مقاله[١] والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[٢].

الرابع: أن في هذا النوع من التوسل دعاء ميت ـ وذلك عند التوسل بدعاء الميت ـ وقد ورد النهي عنه والوعيد عليه؛ إذ هو شرك أو ذريعة إلى الشرك[٣] كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾[٤] فبين سبحانه أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة – أي ينكره، ويعادي من فعله. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾[٥] فكل ميت أو غائب لا يسمع ولا يستجيب، ولا ينفع ولا يضر.

---

(١) الأجوبة المفيدة ص ١٤٥.

(٢) آية ١٨٦ سورة البقرة.

(٣) قاعدة جليلة ص ٣٣ـ ٣٤.

(٤) آية ١٣ – ١٤ سورة فاطر.

(٥) آية ٦ سورة الأحقاف.

ولهذا لم ينقل عن أحد من الصحابة - رضي الله عنهم - ولا عن غيرهم من السلف أنهم أنزلوا حاجاتهم بالنبي ﷺ بعد وفاته ، بل العكس نراهم عام الرمادة توسلوا بدعاء العباس ﷺ ؛ لأنه حي حاضر يدعو ربه ، فلو جاز التوسل بأحد بعد وفاته لتوسل عمر والسابقون الأولون بالنبي ﷺ[١].

قال شيخ الإسلام بعد أن ذكر بعض الأدلة في النهي عن دعاء غير الله : (ومثل هذا كثير في القرآن ينهى أن يدعى غير الله لا من الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم ، فإن هذا شرك أو ذريعة إلى الشرك بخلاف ما يطلب من أحدهم في حياته من الدعاء والشفاعة فإنه لا يفضي إلى ذلك ، فإن أحداً من الأنبياء والصالحين لم يعبد في حياته بحضرته ، فإنه ينهى من يفعل ذلك بخلاف دعائهم بعد موتهم، فإن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم)[٢].

وقال أيضاً : (فإن دعاء الملائكة ، والأنبياء بعد موتهم ... وسؤالهم ... والاستشفاع بهم في هذه الحال ... هو من الدين الذي لم يشرعه الله ولا ابتعث به رسولاً ولا أنزل به كتاباً ... ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين)[٣].

الخامس : أن من هذا النوع من التوسل ، التوسل بالجاه أو الحق

---

(١) انظر: تسير العزيز الحميد ، ص٦٦١ - ٦٦٢ . وقاعدة جليلة ، ص ١٩، ٣٣ ، ٤٤.

(٢) قاعدة جليلة ، ص ٣٣. وانظر مجموع الفتاوى جـ ١ ، ص ٣٣٠.

(٣) قاعدة جليلة ص١٩.

ونحوهما وهو باطل من ثلاثة وجوه :

الأول : أنه توسل بعمل الغير ؛ ذلك أن المنزلة والجاه إنما اكتسبها الإنسان بعمله ، وعمل الغير مختص به فلو توسل به غيره كان قد سأل بأمر أجنبي عنه ليس سبباً لنفعه. قال تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾[1] .

وقال شيخ الإسلام : (قول السائل لله تعالى : « أسألك بحق فلان وفلان من الملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم أو بجاه فلان ... » يقتضي أن هؤلاء لهم عند الله جاه وهذا صحيح ... ولكن ليس نفس مجرد قدرهم وجاههم مما يقتضي إجابة دعائه إذا سأل الله بهم حتى يسأل الله بذلك ... بل يكون قد سأل بأمر أجنبي عنه ليس سبباً لنفعه ...)[2].

الثاني : أن في التوسل بمنزلة أو حق الغير اعتداء في الدعاء والاعتداء في الدعاء محرم ، قال تعالى : ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[3].

---

(١) الآية ٣٩ سورة النجم.

(٢) الفتاوي ، جـ١ ، ص ٢١١ – ٢١٢.

(٣) آية ٥٥ سورة الأعراف.

وقال شارح[١] الطحاوية : (... فلا مناسبة بين ذلك[٢] وبين إجابة دعاء هذا السائل . فكأنه يقول : لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعاي وأي مناسبة وأي ملازمة ؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء ، وقد قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٣] وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة ، ولم ينقل عن النبي ﷺ ، ولا عن الصحابة ، ولا عن التابعين ، ولا عن أحد من الأئمة ... والدعاء من أفضل العبادات ، والعبادات مبناها على السنة والاتباع ، لا على الهوى والابتداع)[٤] .

الثالث : أن السؤال بحق فلان يتضمن أن للمخلوق حق على الخالق وليس على الله حق[٥] إلا ما أحقه على نفسه بوعده الصادق ، يقول القدوري[٦]: (المسألة بخلقه لا تجوز، لأنه لا حق للخلق على الخالق فلا تجوز وفاقاً)[٧].

---

(١) اختلف فيه فقيل ابن أبي العز الحنفي وقيل جمال الدين الملطي. وقيل : غير معروف. ولذلك قلت شارح. انظر : شرح الطحاوية ص ٥ – ٦.

(٢) وهو قوله (بحق فلان).

(٣) آية ٥٥ سورة الأعراف .

(٤) شرح الطحاوية ص٢٦٢ .

(٥) القول الجلي ، ص ٢٩.

(٦) أحمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن القدوري فقيه حنفي ، ولد في بغداد سنة ٣٦٢هـ . وانتهت إليه رئاسة الحنفية في العراق وتوفي في سنة ٤٢٨هـ ، انظر : الأعلام ، جـ١ ، ص ٢١٢

(٧) قاعدة جليلة ص ٥٠.

السادس : أن من هذا النوع من التوسل سؤال العبد ربه حاجته مقسماً بمخلوق.

وهذا فيه محذور من وجهين :

الأول : أن فيه إقسام بغير الله والإقسام بغير الله على المخلوق لا يجوز قال ﷺ : (من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)[1] بل عده الرسول ﷺ من الشرك. قال ﷺ : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)[2].

فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق إنه ليس شركاً فقط بل هو تقرب إلى الله بالشرك والتقرب إلى الله إنما يكون بما يرضيه لا فيما يسخطه[3].

قال شارح الطحاوية (وإن كان مراده الإقسام على الله بحق فلان فذلك محذور أيضاً لأن الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز فكيف على الخالق ؟! وقد قال ﷺ : (من حلف بغير الله فقد أشرك)[4])[5] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، انظر : جامع الأصول حديث ٩٢٨١.

(٢) أخرجه الترمذي عن سعد بن عبيده برقم ١٥٣٥ في النذور والأيمان باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله وقال هذا حديث حسن . انظر : جامع الأصول حديث ٩٢٧٨.

(٣) انظر قاعدة جليلة ص ٢١ ، ١٠٦ والتوصل ص ١٩١.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) شرح الطحاوية ص ٢٦٢.

وقال ابن تيمية : (وأما القسم الثالث مما يسمى توسلاً ... وهو الإقسام على الله عز وجل بالأنبياء والصالحين ، أو السؤال بأنفسهم فإنه لا يقدر أحد أن ينقل فيه عن النبي ﷺ شيئاً ثابتاً لا في الإقسام أو السؤال به ولا في الإقسام أو السؤال بغيره من المخلوقين ... وقد ثبت أنه لا يجوز القسم بغير الله لا بالأنبياء ولا بغيرهم ... فإذا لم يجز أن يحلف بها الرجل ولا يقسم بها على مخلوق فكيف يقسم بها على الخالق جل جلاله)[1].

الوجه الثاني : أن فيه تعظيم للمخلوق :

ذلك أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به وبما أن المحلوف به يكون أعظم من المحلوف عليه فإن في هذا القسم رفع للمخلوق فوق منزلة الخالق ، ومساواة المخلوق بالخالق شرك فكيف لو جعلناه أعظم منه.

قال النووي (قال العلماء : الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به ، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى فلا يضاهى به غيره)[2].

---

(١) قاعدة جليلة ص ١٠٦ وانظر ص ١٤٤.

(٢) شرح صحيح مسلم جـ ١١ ص ١٠٥ ، وانظر الفتاوي جـ١ ص ١٩١.

ثانياً : عرض ما تيسر من شبهات[1] من قال بهذا النوع من التوسل مع المناقشة.

لقد تمسك من قال بهذا النوع من التوسل بشبهات نقلية وعقلية منها ما يلي :

أولاً : شبهاتهم فيما استدلوا به من القرآن ومن ذلك ما يلي :

الشبهة الأولى : قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2].

يقول الزهاوي[3] : (لنا على جواز التوسل والاستغاثة دلائل : منها : قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ... ﴾ الآية)[4].... إلى أن قال : بل ظاهر الآية تخصيصها بالذوات ...)[5] .

الجواب : يقال لهم الآية حجة عليكم لا لكم ؛ ذلك أن المراد بالوسيلة

---

(١) جمع شبهة وهي دليل أو استدلال باطل.

(٢) آية ٣٥ سورة المائدة.

(٣) هو جميل أفندي صدقي الزهاوي أطلق عليه أبن سحمان العراقي أثناء رده عليه في كتابه الضياء الشارق ـ انظر : التعريف به في الضياء الشارق ص ٧ والأعلام جـ ٢ ص ١٣٧.

(٤) آية ٣٥ سورة المائدة.

(٥) الضياء الشارق ص ٤٨٧.

فيها : هي : التقرب إلى الله بطاعته والعمل بما يرضيه[1].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : (يقول سبحانه وتعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه وهي إذا قرنت بطاعته كان المراد بها الإنكفاف عن المحارم وترك المنهيات ، وقد قال بعدها (وابتغوا إليه الوسيلة) قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس : أي القربة. وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن ... وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد. وقال قتادة : أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه ... وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه)[2].

وقال ابن جرير : (وابتغوا إليه الوسيلة) : واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه ... وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل) ثم روى عن مجموعة منهم - أبو وائل وعطاء ، وقتادة ، ومجاهد ، وعبد الله بن كثير - كلهم يقولون بهذا القول[3].

فإذا كان المراد بالوسيلة في الآية : هي التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة ، فالآية حجة في إثبات شرعية التوسل بالأعمال الصالحة لا ما زعمتم من التوسل بالذوات ونحوها.

---

(١) انظر : مجموع الفتاوي جـ ١ ص ٢٤٧.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٥٢. وانظر تفسير ابن عباس جـ ١ ص ٣٣٦.

(٣) تفسير الطبري جـ ٦ ص ١٤٦ - ١٤٧.

الشبهة الثانية : استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾[1] .

يقول الزهاوي في معرض استدلاله بهذه الآية : (إن الكفار يعبدون الأنبياء والملائكة على أنهم أرباب ، فيقول الله لهم : أولئك الذين تعبدونهم هم يتوسلون إلى الله بمن هو أقرب ، فكيف تجعلونهم أرباباً وهم عبيد مفتقرون إلى ربهم متوسلون إليه بمن هو أعلى مقاماً منهم »[2] .

الجواب : يقال لهم استدلا لكم باطل ؛ ذلك أن المراد بالوسيلة التي أخبر الله بأن الذين يدعوهم المشركون أرباباً يبتغونها إليه ؛ لأنهم أهل الإيمان به.

هي كما قال شيخ الإسلام[3] : ما يتقرب به إلى الله من الواجبات والمستحبات. فهي قربة بطاعة أمر الله بها عباده.

قال الشوكاني : (... ولا خلاف في يبتغون أنها بالتحتية و الوسيلة القربة

---

(١) آية ٥٦-٥٧ الإسراء .

(٢) الضياء الشارق ٤٩٧ .

(٣) قاعدة جليلة ص ٤٨.

بالطاعة والعبادة)[١] .

وقال الشنقيطي في تفسير هذه الآية : (وقد قدمنا في سورة المائدة أن المراد بالوسيلة في هذه الآية الكريمة وفي آية المائدة هو التقرب إلى الله بالعمل الصالح)[٢] .

وعليه فإنها لا تشمل شيئاً من التوسل الممنوع ؛ إذ لم يأمر به الله.

يؤكد ذلك أنه لم يعمل به الصحابة ومن أتى بعدهم من القرون المفضلة الذين هم أعلم هذه الأمة بكتاب الله ، ولو كان في هذه الآية أو غيرها دلالة عليه لعملوا به أيضل عنه الصحابة ويهتدي إليه هؤلاء المتأخرون.

إضافة إلى ما ذكرت ـ فإن طائفة من المشركين كانوا يدعون الملائكة والأنبياء ، وقيل يدعون الجن. فأنزل الله هاتين الآيتين إنكاراً عليهم ذلك ، لذا فهما تتضمنان النهي عن دعاء غير الله[٣]. والآية الأولى كما قال شيخ الإسلام.

قصد بها بالتعميم لكل ما يدعي من دون الله ، فكل من دعا ميتاً أو غائباً

---

(١) فتح القدير ج٣ ص٢٣٧

(٢) أضواء البيان ج٢ص٣١٣ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٤٦-٤٧ وتفسير الشوكاني جـ٣ ص ٢٣٧ وقاعدة جليلة ص ١١٧ والقول الفصل النفيس ص ٤١ والضياء الشارق ص ٤٩٤ .

من الأنبياء أو الصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية.

كما تتناول من دعا الملائكة والجن ؛ إذ أنه شرك أو ذريعة إلى الشرك[١].

وعليه فإن من توسل بدعاء ميت فإن هذا النهي يتناوله ؛ إذ فيه دعاء لغير الله وهو دعاء الميت وذلك ذريعة إلى الشرك.

يقول شيخ الإسلام - في تعليقه على هذه الآية - (قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء فقال الله تعالى : هؤلاء الذين تدعونهم هم عبادي كما أنتم عبادي ، يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ، ويتقربون إلي كما تتقربون إلي. فنهي سبحانه عن دعاء الملائكة والأنبياء ... ؛ لأن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم .. بخلاف الطلب من أحدهم في حياته فإنه لا يفضي إلى الشرك)[٢].

وقال أيضاً - بعد أن ذكر هذه الآية - : (... ومثل هذا كثير في القرآن ينهى أن يدعى غير الله لا من الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم فإن هذا شرك أو ذريعة إلى الشرك بخلاف ما يطلب من أحدهم في حياته من الدعاء والشفاعة فإنه لا يفضي إلى ذلك)[٣].

---

(١) انظر : مجموع الفتاوي جـ ١٥ ص ٢٢٦ وقاعدة جليلة ص ٣٣.

(٢) قاعدة جليلة ص١٣٦-١٣٧ .

(٣) قاعدة جليلة ص٣٣ .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن - في تعليقه على هذه الآية -: (وأما ادعاء المنحرفين عن الإيمان من أن الوسيلة هي التوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والصالحين فهذا باطل يناقض ما ذكره الله تعالى في أول الآية من تهديد من دعاهم وإنكاره عليهم دعوتهم)[١].

مما ذكر اتضح أن الآيتين إنما تدلان على التقرب إلى الله بالعمل الصالح وهو توسل مشروع كما تدلان على النهي عن التوسل بدعاء الميت وهو من أنواع التوسل الممنوع وعليه فالآيتان حجة عليهم لا لهم.

الشبهة الثالثة: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[٢].

يقول الزهاوي - بعد أن ذكر هذه الآية مستدلاً بها -: (فقد علق الله تعالى قبول استغفارهم باستغفاره عليه الصلاة والسلام وفي ذلك صريح دلالة على جواز التوسل به ﷺ ...)[٣].

الجواب: يقال لهم: استدلالكم خاطئ.

فالآية إنما ترشد إلى توسل مشروع وهو التوسل بدعائه ﷺ حال حياته.

---

(١) القول الفصل النفيس ص٤٢.

(٢) آية ٦٤ النساء.

(٣) الضياء الشارق ص٥٠٤.

يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : قوله (جاءوك) : فإن المجيء إلى الرجل ليس معناه إلا المجيء إلى عين الرجل ، أما المجيء إلى قبره فإنه ليس من أفراد المجيء إلى الرجل لا لغة ولا شرعاً ولا عرفاً. ولا يفهم من هذا اللفظ - بحسب اللغة والعرف - إلا المجيء إليه في حياته الدنيوية المعهودة[1].

ولذا لم يفهم من هذه الآية أحد من السلف والخلف إلا المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم[2].

ثانياً : قوله (واستغفر لهم الرسول).

واستغفاره ﷺ لا يكون إلا في حياته ؛ ذلك أن الاستغفار كغيره من الأعمال ينقطع بعد الموت لانقطاع التكليف عنه[3].

قال ﷺ : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)[4]. ولا شك أن الرسول ﷺ يشمله الحديث لأنه من الإنسان[5].

---

(١) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٩ – ٣٠.

(٢) الصارم المنكي ص ٤٢٥ (بتصرف).

(٣) انظر : قاعدة جليلة ص ١٣٧ وتيسير الكريم الرحمن جـ ٢ ص ٤٤.

(٤) أخرجه مسلم وأبوداود والترمذي والنسائي . انظر : جامع الأصول حديث ٨٧١٢ .

(٥) انظر : الجواب المختار ص ٥١.

ثالثاً : أنه لو كان استغفاره ﷺ لمن جاءه مستغفراً بعد موته مشروعاً لأمر به أمته ورغبهم فيه ولكان الصحابة وتابعوهم بإحسان أرغب شيء فيه وأسبق إليه ، فهم أحرص هذه الأمة على الالتزام بأمر الله سبحانه ، وأشدهم تعظيماً لنبيها ومعرفة لقدرته ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل ؛ إذ لم ينقل عن أحد منهم قط بنوع من أنواع الأسانيد أنه جاء إلى قبره ليستغفر له ولا شكا إليه ولا سأله[1]. كل ذلك يؤكد أنها خاصة في حياته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ومنهم من يتأول قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ...الآية ﴾[2] . ويقولون : إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة ويخالفون بذلك إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر المسلمين فإن أحداً منهم لم يطلب من النبي ﷺ بعد موته أن يشفع له ولا سأله شيئاً ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم)[3].

وقال الشيخ ابن سعدي – في تفسير هذه الآية – : (... وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته ؛ لأن السياق يدل على ذلك ، لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته ، وأما بعد موته ، فإنه لا يطلب

---

(١) الصارم المنكي ص ٤٢٨ (بتصرف) وانظر : قاعدة جليلة ص ١٩ – ٢٠.

(٢) سورة النساء الآية ٦٤ .

(٣) قاعدة جليلة ص١٩ .

منه شيء بل ذلك شرك)[١] .

وقال ابن عبد الهادي الحنبلي : (... وأما دلالتها على المجيء إليه في قبره بعد موته فقد عرف بطلانه)[٢] .

مما ذكر أتضح أن الآية لا تدل على المجيء إلى قبر النبي ﷺ وطلب الاستغفار والشفاعة منه ، أو التوسل بذاته. وإنما تدل على توسل مشروع وهو التوسل بدعائه ﷺ حال حياته.

الشبهة الرابعة : استدلالهم بقوله تعالى : ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٣] .

وجه الدلالة : قالوا في هذه الآية وعد للمصدقين وهم الأولياء بأن لهم ما يشاءون عند ربهم ، فيدخل في ما يشاءونه من الله تلبية من توسل بهم من العباد[٤] .

يقول محمد الفقي : (... وكيف لا يستعان بمن هذه صفتهم ولا يطلب العون ممن هذا حالهم ، وقد قال تعالى : ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ...

---

(١) تفسير ابن سعدي ج٢ ص٤٤ .

(٢) الصارم المنكي ص٤٢٩ .

(٣) سورة الزمر ، الآية ٣٤ .

(٤) انظر : القول الجلي ص ٣٧ ، والتوسل والزيارة ص ١٩٥.

الآية﴾[1][2] .

الجواب : يقال لهم : أولاً : لنقرأ الآية التي قبلها والتي بعدها ، وماذا قيل فيها ؟

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[3] .

قيل الآية خاصة (والذي جاء بالصدق) : قيل هو جبريل ، وقيل محمد. والذي صدق به : قيل محمد ﷺ وقيل أبو بكر ، وقيل المؤمنون ، وقال النخعي (الذي جاء بالصدق وصدق به هم المؤمنون الذي يجيئون بالقرآن يوم القيامة)[4] .

وقيل : هي عامة عني بها كل من دعا إلى توحيد الله وتصديق رسوله والعمل بما ابتعث به رسوله ﷺ وهو ما اختاره كثير من المفسرين ، كابن جرير ، وأبن سعدي والشوكاني[5] .

---

(١) آية ٣٤ سورة الزمر.

(٢) التوسل والزيارة ص ١٩٧.

(٣) آية ٣٣ –٣٥ سورة الزمر.

(٤) تفسير الشوكاني جـ ٤ ص ٤٦٣.

(٥) انظر تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٥٣ وتفسير الطبري جـ ٢٤ ص ٣ – ٤ ، وتفسير ابن سعدي جـ٧ ص ٣٣ ، وتفسير الشوكاني جـ٤ ص ٤٦٣.

فيكون المراد من الآية أن كل من آمن بالله وعمل صالحاً فله ما يشاء عند ربه، وعليه فهي ليست خاصة جماعة بعينهم - كما يزعمون -.

ثانياً: المراد بقوله ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ﴾ في الآخرة لا في الدنيا. بدليل قوله ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

يقول ابن جرير (لهم عند ربهم يوم القيامة ....)[1] وبدليل قوله تعالى ﴿تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾[2][3].

وعليه فإن تلبية من توسل بهم لا تدخل في ما يشاءونه، لأنها من أمور الدنيا.

ثالثاً: على فرض دخول الأمور الدنيوية في ما يشاءونه فإن هؤلاء المحسنين كانوا يدعون إلى توحيد الله والعمل بما يرضيه. ولذلك وصفهم بالمتقين، وهم الذين اتقوا الله بتوحيده والبراءة من الأوثان والأنداد وأداء الفرائض واجتناب المعاصي[4]. ومن كان كذلك فلن يشاء الشرك أو شيئاً من

(١) تفسير الطبري جـ ٢٤ ص ٤.

(٢) آية ٢٢ سورة الشورى.

(٣) انظر القول الجلي ص ٣٧ – ٣٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري جـ ٢٤ ص٤.

وسائله. وبذلك يتضح بطلان استدلالهم بالآية.

الشبهة الخامسة : استدلوا بقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٢] قالوا : الآيتان تفيدان أن الأولياء أحياء بعد قتلهم وما داموا كذلك فيجوز نداؤهم والتوسل بهم كالأحياء في الدنيا[٣].

يقول محمد الفقي : (وحيث ثبتت حياة المتوفى في البرزخ بما أوردناه وبقوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ... الآية) جاز طلب العون منهم ...)[٤] .

الجواب : يقال لهم هاتان الآيتان نزلتا في حق الشهداء[٥] :

فالآية الأولى : توجيه للمؤمنين أن لا يقولوا لمن يقتل في سبيل الله هو ميت . فإن الميت من سلب حياته وأعدمت حواسه فلا يلتذ لذة ولا يدرك نعيماً ، أما من قتل في سبيل الله فإنهم في حياة ونعيم فرحين بما آتاهم الله

---

(١) آية ١٥٤ سورة البقرة.

(٢) آية ١٦٩ سورة آل عمران.

(٣) انظر: اتحاف الأذكياء ص١٣– ١٤ وتطهير الجنان ص ٥٩ والبروق النجدية ص٣٠.

(٤) التوسل محمد الفقي ص ١٨٨.

(٥) انظر : أسباب النزول للسيوطي بهامش (تفسير وبيان) ص٤٣ ، ص ١٠٩ – ١١٠.

من فضله.

والآية الثانية : إخبار من الله تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار كما جاء في صحيح مسلم عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : (أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل .... الحديث)[١]. وعليه فالآيتان إنما تفيدان أن الشهداء أحياء بعد قتلهم حياة برزخية لا يعلم كنهها إلا الله سبحانه لا تقاس بالحياة الدنيا ولا تعطى أحكامها.

بل إن فيما زعمتم مصادمة لكتاب الله ؛ لأن الله يقول : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[٢] فلم يجعلهما الله سواء بل فرق بين الأحياء والأموات[٣] وإذا لم يكونوا سواء فإنه يبطل قياس

(١) رواه مسلم في الإماره باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون. انظر : جامع الأصول حديث ٧٢١٣.

(٢) آية ٢٢ سورة فاطر.

(٣) انظر : تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٩٧ ، ٤٢٦ – ٤٢٧ ، وتفسير ابن جرير جـ ٤ ص ١١٣ ، جـ ٢٢ ص ٨٥ والقول الفصل النفيس ص ٣٦ والتوسل للألباني ص ٦٥ – ٦٦ وتطهير الجنان صـ ٦٤ – ٧٠ (المتن والحاشية).

حياة الأموات على حياة الأحياء ، وعليه فتبطل هذه الشبهة.

ثانياً : شبهاتهم فيما استدلوا به من السنة، ومن أقوال وأفعال الصحابة والتابعين.

وهي : إما استشهاد في غير محله ، أو حديث أو أثر ضعيف أو موضوع . منها ما يلي :

الشبهة الأولى : حديث استسقاء عمر بالعباس الذي مر ذكره في أدلة أهل السنة على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي. وهو ما روي عن أنس بن مالك ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا. قال : فيسقون)[1].

وجه استدلالهم : قالوا : ورد في الحديث (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا).

قالوا : المراد بعم نبينا ـ أي بجاهه ـ فهم فهموا أن توسله بالعباس كأنه مجرد ذكر منه للعباس في دعائه ، وطلب منه لله أن يسقيهم من أجله وقد أقره الصحابة على ذلك ، فأفاد بزعمهم ما يدعون.

وعللوا : عدول عمر ﷺ عن التوسل بالرسول ﷺ إلى التوسل بالعباس

---

(١) سبق تخريجه ص٣٩٧ .

ﷺ - لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل[١].

يقول أحمد دحلان ـ بعد أن أورد هذا الحديث مستدلاً به ـ : (وإنما خص عمر العباس من دون سائر الصحابة رضي الله عنهم لإظهار شرف أهل بيت رسول الله ﷺ ولبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل)[٢].

ومثل ذلك قال محمد الفقي ـ بعد أن أورده مستدلاً به[٣].

الجواب : يقال لهم : استدلالكم خاطيء فإن عمر ﷺ والصحابة إنما توسلوا بدعاء العباس. ويدل على ذلك أمور منها :

١ – أن عمر صرح بأنهم كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ في حياته ، وفي هذه الحادثة بالعباس.

ومما لا شك فيه أن التوسلين من نوع واحد وإذا تبين للقارئ ـ مما يأتي ـ أن توسلهم به ﷺ إنما كان بدعائه ، فتكون النتيجة أن توسلهم بالعباس إنما هو توسل بدعائه ، ومما يؤكد أن توسلهم به ﷺ في حياته إنما كان بدعائه صريح رواية الإسماعيلي في مستخرجه على الصحيح لهذا الحديث بلفظ :

---

(١) التوسل للألباني ص ٥٥ – ٥٦ وانظر : الدرر السنية ص ١٠ – ١٢ والتوسل محمد الفقي ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٢) الدرر السنية ص ١٠ – ١٢.

(٣) انظر : التوسل محمد الفقي ص ١٧٤ – ١٧٥.

« كانوا إذا قحطوا على عهد النبي ﷺ استسقوا به فيستسقي لهم فيسقون ، فلما كان في إمارة عمر ...) فذكر الحديث [١]. فقوله (فيستسقي لهم) صريح في أنه ﷺ كان يطلب لهم السقيا من الله تعالى . وهذا هو التوسل بدعائه.

كذلك حديث الأعرابي الذي دخل المسجد ـ والرسول ﷺ يخطب ـ وشكا له الجدب ، ونحوهما. كل ذلك يدل على أن توسلهم به ﷺ في حياته إنما كان بدعائه.

٢- ما ورد في بعض روايات هذا الحديث الصحيحة أن العباس لما أستسقى به عمر دعا. يقول ابن حجر في الفتح : (وقد بين الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال : (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة ... وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فأسقنا الغيث)[٢].

هذه الرواية تدل على أنهم توسلوا بدعاء العباس لا بذاته ، إذ لو كان التوسل بذاته أو جاهه لما كان هناك حاجة ليقوم العباس فيدعو بعد عمر

---

(١) فتح الباري جـ ٢ ص ٤٩٥.

(٢) فتح الباري جـ ٢ ص ٤٩٧.

بهذا الدعاء.

٣- لو كان توسلهم بالعباس - بذاته أو جاهه - لما عدلوا عن النبي ﷺ إلى العباس ؛ إذ ذاته ﷺ أفضل وجاهه أعظم من جاه العباس. لكن لما كان بدعائه. والرسول ﷺ لا يمكن أن يدعو لهم لوفاته عدلوا إلى حي فاضل ، فاختاروا العباس لفضله ﷺ[1].

قال ابن تيمية : (ودعاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الاستسقاء المشهور بين المهاجرين والأنصار وقوله (اللهم إنا كنا إذا أجد بنا نتوسل إليك بنبينا ...) يدل على أن التوسل المشروع - عندهم - هو التوسل بدعائه وشفاعته لا السؤال بذاته ؛ إذ لو كان هذا مشروعاً لم يعدل عمر والمهاجرون والأنصار عن السؤال بالرسول إلى السؤال بالعباس)[2].

كل ما ذكرنا يدل دلالة واضحة على أن توسل الصحابة بالعباس إنما كان بدعائه .

وأما قولهم : أن عمر ﷺ ،عدل عن التوسل بالرسول ﷺ إلى التوسل بالعباس ؛ لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل.

---

(١) انظر : قاعدة جليلة ص ٦٤ ، ٦٥ ، ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٢٩ ، والفتاوي جـ ١ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ، والتوسل للألباني ص ٦٠ - ٦١ ، ٦٨ - ٧٠ ، وروح المعاني جـ ٦ ص ١٢٦ - ١٢٧ وصيانة الإنسان ص ١٤٢ ، ٢١٣ ، وشرح الطحاوية ص ٢٦٣.

(٢) قاعدة جليلة ص ٦٤.

فنقول : كلام مردود من وجوه ، منها :

الأول : أنه ليس من المعقول أن الصحابة يقرون عمر على ترك التوسل بالرسول ﷺ - لو كان ممكناً - إلى التوسل بعمه ، ولن يقبل العباس أن يتركوا التوسل بالرسول ﷺ - لو كان ممكناً - إلى التوسل به ؛ إذ في ذلك ترك للسنة المشروعة وعدول عن الأفضل ، أضف إلى ذلك أنهم رضي الله عنهم يعرفون قدر نبيهم ﷺ ومكانته وفضله معرفة لا يدانيهم فيها أحد ، فلن يؤثروا عليه أحداً لو كان ممكناً لأي سبب من الأسباب.

الثاني : أن سؤال الله بأضعف السببين إنما يكون في وقت الرخاء. أما في وقت الشدة فالناس أحرص على أكبر وسيلة لزوالها. وعام الرمادة معلوم ما أصاب المسلمين فيه من شدة.

الثالث : لنفرض أن الذي حمل عمر على ترك التوسل بالرسول ﷺ إلى التوسل بعمه ما زعموه ، فما الذي حمل معاوية والضحاك بن قيس عندما توسلا بيزيد بن الأسود الجرشي. وأيضاً لو كان الأمر كذلك لفعل عمر ذلك مرة واحدة ولما استمر عليه كلما استسقى بدليل ما ورد في هذا الحديث من قوله (إن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس...) فإن في هذا إشارة إلى تكرار استسقاء عمر بالعباس[1]. كل ما

---

(١) انظر : التوسل للألباني ٦٢ - ٦٣ ، ٦٦ - ٦٨. وقاعدة جليلة ص ٦٥ ، ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٣١ ، وروح المعاني جـ٦ ص ١٢٦.

ذكرت يؤكد بطلان استدلالهم بهذا الحديث على التوسل بالجاه أو غيره من التوسل الممنوع.

الشبهة الثانية : حديث الضرير ـ وهو ما روي عن عثمان بن حنيف ﷺ أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني. فقال : (إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذاك فهو خير) وفي رواية (وإن شئت صبرت فهو خير لك) ، فقال : أدعه : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء : (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في) قال : ففعل الرجل فبرأ[١].

وقد استدل به السبكي[٢]، والزهاوي[٣]، وأحمد دحلان[٤] على جواز التوسل بالذات أو الجاه .

وجه استدلالهم : قالوا الحديث يدل على جواز التوسل بذات أو جاه النبي ﷺ أو غيره من الصالحين ، إذ فيه أن النبي ﷺ علم الأعمى أن يتوسل به في دعائه. حيث أمره أن يدعو بهذا الدعاء (اللهم إني أسألك وأتوجه

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٩٦.

(٢) انظر : شفاء السقام ص ١٣٩ – ١٤٠.

(٣) انظر : الضياء الشارق ص ٥٣٧.

(٤) انظر : الدرر السنية ص ٨ – ٩.

إليك بنبيك ...) وقد فعل الأعمى ذلك فبرأ[1].

يقول الزهاوي - بعد أن ساق هذا الحديث - : (فقد أمر النبي ﷺ الرجل الضرير أن يناديه ويتوسل به إلى الله في قضاء حاجته)[2].

ويقول أحمد دحلان : (ومن الأحاديث الصحيحة التي جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذي ... ثم ساق الحديث وقال : ففي هذا الحديث التوسل والنداء أيضا)[3].

الجواب : يقال لهم استدلالكم بهذا الحديث على جواز التوسل بذات أو جاه النبي ﷺ أو غيره استدلال خاطيء . فالحديث إنما يدل على مشروعية التوسل بدعاء الصالح الحي لا غير. وذلك لما يلي :

١- أن الأعمى إنما جاء إلى النبي ﷺ ليدعو له بدليل قوله : (ادع الله أن يعافيني) ولو كان قصده التوسل بذاته ﷺ أو جاهه . لما احتاج منه المجيء إلى النبي ﷺ بل ممكن أن يتوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه وهو في بيته أو في أي مكان. فمجيئه وطلبه من الرسول أن يدعو له دليل واضح على أنه إنما توسل بدعائه ﷺ.

---

(١) انظر : التوسل للألباني ص ٧٦.

(٢) الضياء الشارق ص ٥٣٧.

(٣) الدرر السنية ص ٨.

٢- أن النبي ﷺ خيره بين الدعاء وبين أن يصبر مع بيان فضيلة الصبر ونصحه به ـ حيث قال : (إن شئت دعوت لك وإن شئت صبرت فهو خير لك).

٣- إصرار الأعمى على الدعاء بقوله : ادعه .

فهذا يدل على أنه اختار الدعاء ، وأن الرسول ﷺ دعا له ؛ لأنه وعده بقوله : إن شئت دعوت لك ـ وقد شاء الدعاء وأصر عليه ـ فإذا لا بد أنه ﷺ قد دعا له . فهو خير من وفى بما وعد. ولحرصه ﷺ على أن يستجيب الله دعاءه له وجهه إلى عمل صالح يقدمه بين يدي دعائه ﷺ ليكون أحرى بالقبول ـ حيث أمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يدعو لنفسه بدعاء علمه الرسول ﷺ إياه.

٤- ورد في الدعاء الذي علمه الرسول ﷺ إياه (اللهم فشفعه فيّ) وهذا صريح في أن الرسول ﷺ قد دعا له وأن توسله إنما كان بدعائه. فهو يدعو أن يقبل الله دعاء نبيه له فقوله (اللهم فشفّعه فيّ) معناه : اللهم اقبل شفاعته ﷺ - أي اقبل دعاءه - في أن ترد عليّ بصري. ولو كان توسل بذاته أو جاهه، لم يكن لهذا فائدة ولا معنى في الحديث. وهذا مردود كذلك ما يستلزمه.

قال شيخ الإسلام ـ بعد أن ذكر الحديث ـ (فهذا توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته ، ودعاله النبي ﷺ ، ولهذا قال : (وشفعه فيّ) فسأل الله أن يقبل

شفاعة رسوله فيه وهو دعاؤه)[١].

٥- أن هذا الحديث قد ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب مما يدل على أن التوسل فيه توسل بالدعاء. وأن السر في شفاء الأعمى إنما هو دعاء النبي ﷺ . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (... فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ...)[٢] أما ما تضمنه الدعاء من قوله (أسألك بنبيك) فالمراد بدعاء نبيك بدليل طلبه من الرسول ﷺ أن يدعو له وبدليل قوله في دعائه (اللهم فشفّعه فيّ) فهذا يقتضي أنه ﷺ سيدعو له. فهو دعاء في أن يقبل الله دعاء النبي ﷺ له ـ كما تقدم بيانه آنفاً.

أضف إلى ذلك أن التوسل بالشخص في مفهوم الصحابة وعرفهم إنما هو طلب الدعاء منه حال حياته ، أما التوسل بالجاه أو الذات فهم لا يقرونه؛ لأنه من مفاهيم الجاهلية التي بعث ﷺ لأجل القضاء عليها ، وعليه فالحديث إنما يدل على التوسل بالدعاء ، لا بالجاه أو الذات - كما يزعمون[٣].

---

(١) قاعدة جليلة ص ٩٢.

(٢) الفتاوي جـ ١ ص ٢٦٦.

(٣) انظر : الفتاوي جـ ١ ص ١٤٣ ، ٢٨٥ وقاعدة جليلة ص ٩٢ واقتضاء الصراط المستقيم ص ٤١٥ - ٤١٦ والضياء الشارق ص ٥٤٠ والأسنة الحداد ص ٢٣١ والتوسل للألباني ص ٧٦ - ٨١ .

قال شيخ الإسلام (وحديث الأعمى لا حجة لهم فيه ، فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته)[1].

الشبهة الثالثة : ما روي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً : قال : (من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك)[2].

وقد استدل به أحمد دحلان ، والزهاوي ومن وافقهما على جواز التوسل بكل عبد مؤمن.

يقول أحمد دحلان ـ بعد أن ساق الحديث : (فانظر قوله (بحق السائلين عليك) فإن فيه التوسل بكل عبد مؤمن)[3].

ويقول الزهاوي بعد أن ساق الحديث ـ (فقد توسل النبي عليه الصلاة

---

(١) قاعدة جليلة ص ٦٤.

(٢) رواه ابن ماجة برقم ٧٧٨ في المساجد والجماعات باب المشي إلى الصلاة وأحمد في المسند برقم ١١١٥٦ وإسناده ضعيف انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة جـ ١ ص ٣٤ – ٣٧. ومسند الإمام أحمد جـ١٧ ص ٢٤٨ (الحاشية) وجامع الأصول جـ٤ ص ٣١٨ (الحاشية)

(٣) انظر الدرر السنية ص ٦ – ٧.

والسلام في قوله : (إني أسألك بحق السائلين عليك) بكل عبد مؤمن وأمر أصحابه أن يدعوا بهذا الدعاء فيتوسلوا مثل توسله)[1].

الجواب : يقال لهم :

أولاً : الحديث شديد الضعف فلا يحتج به ؛ لأنه من طريق فضيل بن مرزوق عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري. وفضيل وعطية : كلاهما ضعيف.

فأما فضيل فقد ضعفه أبو حاتم والنسائي والحاكم ، وقال ابن حبان (يخطيء على الثقات ويروي عن عطية الموضوعات) .

وقال الرازي : لا يحتج به[2].

وأما عطية بن سعد فقال ابن تيمية والذهبي : مجمع على ضعفه[3] . وأورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين[4].

وقال ابن حجر : كان شيعياً مدلساً[5].

---

(١) الضياء الشارق ص ٥٣٢.

(٢) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي جـ ٢ ص ٩ وسلسلة الأحاديث الضعيفة جـ ١ ، ص ٣٤ – ٣٥ وصيانة الإنسان ص ١٠٤ وميزان الاعتدال جـ ٥ ص ٤٤٠.

(٣) (٤) قاعدة جليلة ص ١٠٧ وديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي جـ ٢ ص ١٥٩ . وانظر ميزان الاعتدال جـ ٥ ص ١٠٠ – ١٠١.

(٥) تقريب التهذيب جـ ٢ ص ٢٤.

وقال ابن حبان :(سمع من أبي سعيد الخدري أحاديث فلما مات جعل يجالس الكلبي فإذا قال الكلبي قال رسول الله ﷺ حفظ ذلك ورواه عنه وكناه أبا سعيد فيظن أنه أراد (الخدري) وإنما أراد (الكلبي) لا يحل كتب حديثه : إلا على التعجب) [1].

والكلبي : هو محمد بن السائب أحد المعروفين بالكذب في الحديث[2].

وعلى هذا فعطية شيعي مدلس مجمع على ضعفه ـ فلا يحتج بروايته.

وقد روي من طريق أخر ـ مع اختلاف يسير في اللفظ ـ أخرجه أبو بكر بن السني في عمل اليوم والليلة برقم ٨٤ من طريق الوازع بن نافع العقيلي عن أبي سلمه بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله عن بلال ﷺ[3]. وهو حديث ضعيف أيضاً : كما قال النووي وابن تيمية[4]؛ ذلك أن في سنده الوازع وهو ضعيف الحديث جداً ليس بشيء كما قال أبو حاتم وأبو زرعه بل قال الحاكم : روى أحاديث موضوعه ، وكذا قال غيره وقال أبن عدي : عامه ما يرويه الوازع غير محفوظ.

وقال النووي والهيثمي متفق على ضعفه ، وقال أحمد وابن معين ليس

---

(١) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ج٢ ص١٨٠ .

(٢) انظر : صيانة الإنسان ص١٠٦ والتوسل للألباني ص ١٠٤ .

(٣) انظر : عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا خرج إلى الصلاة ص ٤٢ ـ ٤٣.

(٤) انظر : الأذكار للنووي ص ٣٢ وقاعدة جليلة ص ١٠٧.

بثقة[١].

وعليه فلا يحتج بالحديث على كلا الروايتين.

ثانياً : على فرض صحة الحديث فإنه لا يؤيد مدعاهم ؛ ذلك أنه توسل بحق السائلين ، وبحق ممشاه إلى المسجد - وهو حق العابدين - وحق السائلين أن يجيبهم ، وحق العابدين أن يثيبهم. وهما مما جعله على نفسه حقاً تكرماً وفضلاً. قال تعالى : ﴿ ... وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ... ﴾[٢]. وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...الآية ﴾[٣] ، وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾[٤].

وفي الصحيح من حديث معاذ : (... حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحقهم على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم)[٥] فيكون

---

(١) انظر : الأذكار النووية ص ٣٢ والجرح التعديل جـ ٩ ص ٣٩ وسلسلة الأحاديث الضعيفة جـ ١ ص ٣٧ - ٣٨ وجامع الأصول جـ ٤ ص ٣١٨ (الحاشية) وقاعدة جليلة ص ١٠٧ وصيانة الإنسان ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٢) آية ٤٧ سورة الروم.

(٣) آية ٦٠ سورة غافر.

(٤) آية ٧ سورة الزلزلة.

(٥) رواه البخاري في التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ومسلم برقم ٣٠ في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، انظر : جامع الأصول حديث ٧٠٠٥.

السائل - هنا - قد توسل بالإجابة ، والإثابة التي هي من صفات الله الفعليه والتوسل بأسماء الله وصفاته مشروع قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ... الآية﴾[(1)][(2)].

قال ابن تيمية : (وهذا الحديث هو من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد وهو ضعيف بإجماع أهل العلم وقد روي من طريق آخر وهو ضعيف أيضاً ولفظه لا حجة فيه فإن حق السائلين عليه أن يجيبهم وحق العابدين أن يثيبهم وهو حق أحقه الله تعالى على نفسه الكريمة بوعده الصادق باتفاق أهل العلم)[(3)].

الشبهة الرابعة : عن أبي أمامة قال : (كان رسول الله ﷺ إذا أصبح وإذا أمسى دعا بهذا الدعاء : اللهم أنت أحق من ذكر ، وأحق من عبد ... أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض ، وبكل حق هو لك وبحق السائلين عليك .... الحديث)[(4)][(5)].

---

(١) آية ١٨٠ سورة الأعراف.

(٢) انظر : الضياء الشارق ص ٥٣٣ وكشف غياهب الظلام ص ٢٦٣ وصيانة الإنسان ص ١٢٧ (الحاشية) وروح المعاني جـ ٦ ص ١٢٧ والتوسل للألباني ص ١٠٩.

(٣) قاعدة جليلة ص ١٠٧ – ١٠٨.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير جـ ٨ ص ٣١٦ – ٣١٧.

(٥) روى هذه الشبهة عنهم الشيخ محمد بشير ، والشيخ الألباني ، انظر : صيانة الإنسان ص ١٢٩ والتوسل للألباني ص ١١٠.

وجه استدلالهم : أنه ورد فيه سؤال بحق السائلين ـ فدل على جواز السؤال بكل عبد مؤمن ـ كالحديث السابق.

الجواب : يقال لهم هذا الحديث لا يحتج به لضعفه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (رواه الطبراني ـ وفيه فضالة بن جبير ، ضعيف مجمع على ضعفه)[1] .

وقال ابن عدي (ولفضالة عن أبي أمامة قدر عشرة أحاديث كلها غير محفوظه)[2] .

وروى الكناني عن أبي حاتم الرازي قال : (ضعيف الحديث)[3].

وقال ابن حبان : (لا يحل الاحتجاج به بحال : يروى أحاديث لا أصل لها)[4].

وقال الألباني : (الحديث شديد الضعف فلا يجوز الاستشهاد به)[5] .

وعلى هذا فالحديث شديد الضعف فلا يحتج به. ولو فرض صحته فإن قوله (وبحق السائلين عليك) إنما هو سؤال بالإجابة ، وهي من صفات

---

(١) مجمع الزوائد جـ ١٠ ص ١٢٠.

(٢) الكامل لابن عدي جـ ٦ ص ٢١.

(٣) (٤) صيانة الإنسان ص ١٣٠.

(٥) التوسل للألباني ص ١١٠.

الله الفعلية. والتوسل بصفات الله مشروع[1]. وعليه فلا دلالة في الحديث على شيء من التوسل الممنوع.

الشبهة الخامسة : عن أنس بن مالك قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي رضي الله عنهما ، دعا أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري ... يحفرون قبرها ... فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فأضطجع فيه ثم قال : (الحمد لله الذي يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت أغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقنها حجتها ، وأوسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ، فإنك أرحم الراحمين ... الحديث) رواه الطبراني[2].

وممن استدل به أحمد دحلان[3] والزهاوي[4] والعظمي[5] وموسى محمد علي[6].

وجه الاستدلال : قالوا ورد في الحديث (وأوسع عليها مدخلها بحق

---

(١) انظر : كشف غياهب الظلام ص ٢٦٣ وسلسلة الأحاديث الضعيفة جـ ١ ص ٤٦.

(٢) في المعجم الكبير جـ ٢٤ ص ٣٥١ – ٣٥٢ برقم ٨٧١ والأوسط جـ ١ ص ١٥٢ – ١٥٣ برقم ١٩١.

(٣) انظر : الدرر السنية ص ٧.

(٤) انظر : الضياء الشارق ص ٥٣٥.

(٥) انظر : كشف غياهب الظلام ص ٢٦٧.

(٦) انظر حقيقة التوسل والوسيلة ص ٤٩.

نبيك والأنبياء الذين من قبلي ...) وفي ذلك توسل بذاته وبإخوانه النبيين[١].

يقول موسى محمد علي (ففي هذا الحديث ... توسله عليه الصلاة والسلام إلى ربه بذاته ... وبإخوانه من النبيين ....)[٢].

الجواب : يقال لهم الحديث غير صحيح[٣] لأن في سنده روح بن صلاح وقد تفرد به كما قال أبو نعيم[٤]. واتفقت عبارات كثير من أئمة الجرح على تضعيف روح.

يقول ابن عدي : (روح بن صلاح ... ضعيف) . وقال الدارقطني : (ضعيف في الحديث) . وقال ابن ماكولا : (ضعفوه) . وقال أبو يونس : (رويت عنه مناكير) .

وقال ابن عدي ـ بعد أن خرج له حديثين ـ (ولروح ... أحاديث ليست بالكثيرة ... وفي بعض حديثه نكره)[٥].

وذكره ابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين[٦].

---

(١) انظر : الدرر السنية ص ٧ وحقيقة التوسل والوسيلة ص ٤٩.

(٢) حقيقة التوسل والوسيلة ص ٤٩.

(٣) انظر : التوصل ص ٢٣٥.

(٤) حلية الأولياء جـ ٣ ص ١٢١.

(٥) انظر الكامل لابن عدي جـ ٣ ص ١٤٦ ولسان الميزان جـ ٢ ص ٥٧٣ – ٥٧٤.

(٦) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي جـ ١ ص ٢٨٧.

وقال الشيخ الألباني - بعد أن ذكر كلام بعض الأئمة فيه - : (فأنت ترى أئمة الجرح قد اتفقت عباراتهم على تضعيف هذا الرجل وبينوا أن السبب روايته المناكير فمثله إذا انفرد بالحديث يكون منكراً لا يحتج به)[1].

وقال الشيخ عبد الرحمن الدوسري : (هذا الحديث لا يصح دراية فإن صيغة متنه وركاكة ألفاظه وما فيه من المبالغة مما يدل على عدم ثبوته ، زيادة على غرابته وما في سنده من الضعف الذي تكلم عليه المؤلف)[2].

مما ذكر اتضح أن الحديث لا يصح دراية ولا رواية وإنما هو منكر لا يحتج به والله أعلم.

الشبهة السادسة : عن عمر بن الخطاب مرفوعاً : (لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله : يا آدم ! وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله - فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي. ادعني[3] بحقه

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة جـ ١ ص ٣٣ وانظر التوسل للألباني ص ١١١.

(٢) انظر : صيانة الإنسان ص ١٢٩ (المتن والحاشية).

(٣) كذا في المستدرك وفي شفاء السقام وإذ سألتني بحق

فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك) أخرجه الحاكم[١].

يقول أحمد دحلان (وقد توسل به ﷺ أبوه آدم عليه السلام قبل وجود سيدنا محمد ﷺ حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها)[٢] ثم ساق الحديث.

الجواب : يقال لهم :

أولاً : الحديث موضوع - كما قال الذهبي[٣] وغيره - فلا تقوم به حجه.

يقول الذهبي : (عبد الله بن مسلم أبو الحارث الفهري روى عن إسماعيل بن مسلمة بن قعنب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبراً باطلاً فيه (يا آدم لولا محمد ما خلقتك)[٤]، وكذا قال الحافظ ابن حجر في اللسان[٥].

وقال البيهقي : (إنه تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم) وهو متهم بالوضع رماه بذلك الحاكم)[٦] .

---

(١) المستدرك جـ ٢ ص ٦١٥.

(٢) الدرر السنية ص ٩.

(٣) التلخيص للذهبي (حاشية المستدرك) جـ ٢ ص ٦١٥.

(٤) ميزان الاعتدال جـ ٤ ص ١٩٩.

(٥) جـ ٣ ص ٤٤٢.

(٦) التوسل للألباني ص ١١٧.

ولا نغتر برواية الحاكم لهذا الحديث ـ فإنه مما أنكره عليه العلماء وعدوه تناقضاً منه.

يقول ابن تيمية : (ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه فإنه نفسه قد قال في كتاب المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم : وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه.

قلت[1]: وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدار قطني وغيرهم، وقال أبو حاتم بن حبان : كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم ، حتى كثر ذلك من روايته ... فاستحق الترك. وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهذا ما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث)[2].

ومما يؤكد بطلان هذا الحديث أنه يخالف كتاب الله في موضعين :

الأول : أنه تضمن أن الله غفر لآدم بسبب توسله بمحمد ﷺ ، والله يقول:

---

(١) ابن تيمية.

(٢) قاعدة جليلة ص ٨٥.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾[1].

وقد جاء تفسير هذه الكلمات عن ابن عباس بما يخالف هذا الحديث .

فقد أخرج الفريابي وعبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم ، وابن مردويه عن ابن عباس في قوله : (فتلقى آدم من ربه كلمات) قال : أي رب ألم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى : قال أي رب ألم تنفخ فيّ من روحك ؟ قال : بلى : قال أي رب ألم تسبق إلي رحمتك قبل غضبك؟ قال: بلى: قال: أي رب ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى: قال: أي رب أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم، قال: فهو قوله ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾[2] .

وقال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي[3][4].

وأخرج الثعلبي ، وابن المنذر عن ابن عباس في قوله : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن

---

(١) آية ٣٧ سورة البقرة.

(٢) تفسير الشوكاني جـ ١ ص ٧١ والمستدرك جـ ٢ ص ٥٤٥ وانظر : تفسير ابن جرير جـ ١ ص ١٩٣ وتفسير أبي السعود جـ ١ ص ٩٢ .

(٣) المستدرك جـ ٢ ص ٥٤٥ والتلخيص للذهبي جـ ٢ ص ٥٤٥.

(٤) يقول الألباني : (وقول ابن عباس هذا في حكم المرفوع من وجهين الأول : أنه أمر غيبي ، لا يقال من مجرد الرأي والثاني : أنه ورد في تفسير الآية وما كان كذلك فهو في حكم المرفوع كما تقرر في محله) : التوسل له ص ١٢٦.

رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ قال : قوله : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

وأخرج وكيع وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن مجاهد مثله ، وأخرج عبد بن حميد عن الحسن والضحاك مثله ، وأخرج ابن جرير عن مجاهد وقتاده وابن زيد مثله ، وبهذا قال كثير من المفسرين كابن جرير ، وابن سعدي ، والسيد محمد رشيد رضا ، وأبو بكر الجزائري[1].

ويؤيده قوله تعالى : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2].

ولا منافاة بين القولين بل أحدهما يتمم الآخر - ذلك أنها كلها من الكلمات.

يقول ابن جرير : (حدثني المثنى قال حدثنا آدم العسقلاني قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ قال: إن آدم لما أصاب الخطيئة قال يا رب أرأيت إن تبت وأصلحت ؟ ،

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ١٩٣ - ١٩٤ وتفسير الحسن البصري جـ ٢ ص ٤٢ وتفسير مجاهد ص ٢٠٠ (الحاشية) وتفسير الشوكاني جـ ١ ص ٧١ – ٧٢ وتفسير ابن سعدي جـ ١ ص ٣٥ وتفسير المنار جـ ١ ص ٢٧٩ وأيسر التفاسير جـ ١ ص ٣٩ والدر المنثور جـ ١ ص ٥٩.

(٢) آية ٢٣ سورة الإعراف.

فقال الله إذاً أرجعك إلى الجنة. فهي من الكلمات. ومن الكلمات أيضاً ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[١].

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان عن قتادة في قوله ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ قال: (ذكر لنا أنه قال: يا رب أرأيت إن تبت وأصلحت ؟ قال: فإني إذن أرجعك إلى الجنة ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾...)[٢].

وبذلك ثبتت مخالفة هذا الحديث للقرآن ، فتأكد بطلانه.

الثاني : كذلك مما يؤكد بطلانه قوله في آخره (ولولا محمد ما خلقتك) والله يقول : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣] فالآية تفيد أن الحكمة من الخلق إنما هي عبادة الله وحده لا شريك له ، لا من أجل ملك مقرب ولا نبي مرسل[٤].

ثانياً : على افتراض أن هذا الحديث ضعيف فقط - كما يزعم بعض المخالفين - فلا يجوز الاستدلال به على مشروعية التوسل المختلف فيه ؛

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ١٩٣ وانظر : تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٨١.

(٢) الدر المنثور جـ ١ ص ٥٩.

(٣) آية ٥٦ سورة الذريات.

(٤) انظر : التوسل للألباني ص ١٢٥ – ١٢٧.

لأنه ـ على قولهم ـ عبادة مشروعة وأقل أحوال العبادة أن تكون مستحبة والاستحباب حكم شرعي من الأحكام الخمسة التي لا تثبت إلا بنص صحيح تقوم به الحجة ، فإذا كان الحديث عندهم ضعيفاً فلا حجة فيه البتة[١].

وبذلك اتضح بطلان هذه الشبهة.

الشبهة السابعة : عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد قال : كان رسول الله ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين. وفي رواية يستنصر بصعاليك المسلمين[٢].

يقول عبد الله الحسيني : (الدليل العاشر من أدلة التوسل بسيد الأنبياء وبغيره من الأولياء والصالحين) ثم ذكر الحديث[٣].

الجواب : يقال لهم أولاً : الحديث مرسل ضعيف ، ذلك أن مداره على أمية بن عبد الله بن خالد مرفوعاً ، وأمية لم تثبت له صحبة[٤].

---

(١) التوسل للألباني ص ١٢٧ – ١٢٨ ، وصيانة الإنسان ص ١٣٥ ، ١٤٢.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير جـ ١ ص ٢٩٢ برقم ٨٥٧ ، ٨٥٨ وفي رواية من طريق قيس بن الربيع عن أبي إسحاق عن المهلب عن أمية بن عبد الله بن خالد قال (كان النبي ﷺ يستفتح ويستنصر بصعاليك المسلمين) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير جـ ١ ص ٢٩٢ برقم ٨٥٩.

(٣) إتحاف الأذكياء ص ٢٨.

(٤) التوسل للألباني ص ١١٣.

يقول ابن عبد البر في الاستيعاب[1] - بعد أن ذكر روايته لهذا الحديث - قال : (لا تصح عندي صحبته والحديث مرسل).

وقال الحافظ في الإصابة[2]. (وأمية هذا ليست له صحبة ولا رؤية).

وقال ابن حبان : (يروي المراسيل ، ومن زعم أن له صحبة فقدوهم)[3].

وقال البغوي (أمية بن خالد لا أرى له صحبة)[4].

كما أن في سنده ـ في كلا الروايتين ـ أبا إسحاق. وفيه علة العنعنة[5].

قال الألباني ـ بعد أن ذكر هاتين العلتين ـ : (... فثبت بذلك ضعف الحديث وأنه لا تقوم به حجة)[6].

ثانياً : على فرض صحة الحديث ـ فإنه لا يدل إلا على التوسل بدعاء الصالح الحي وهو مشروع.

يقول المناوي - في فيض القدير - : (كان يستفتح) أي يفتتح القتال ... (ويستنصر) أي يطلب النصرة (بصعاليك المسلمين) أي بدعاء

---

(١) جـ ١ ص ٣٨.

(٢) الإصابة جـ ١ ص ١٣٣.

(٣)(٤) الإصابة جـ ١ ص ١٣٢.

(٥) التوسل للألباني ص ١١٤.

(٦) التوسل للألباني ص ١١٤.

فقرائهم....)[1].

ويقول الألباني - بعد أن ذكر كلام المناوي - : (... وقد جاء هذا التفسير من قوله ﷺ (إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها ، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم)[2]... فقد بين الحديث أن الاستنصار إنما يكون بدعاء الصالحين لا بذواتهم و جاههم. ومما يؤكد ذلك أن الحديث ورد في رواية قيس بن الربيع ... بلفظ (كان يستفتح ويستنصر ...) ... وبهذا يكون هذا الحديث ـ إن صح ـ دليلاً على التوسل المشروع وحجة على التوسل المبتدع...)[3].

الشبهة الثامنة : يقول أحمد دحلان ـ وهو يتكلم عن التوسل بالذات ـ ، «ويؤيد ذلك أيضاً ما صح عنه ﷺ من قوله : (حياتي خير لكم تحدثون وأحدث لكم. ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم ، ما رأيت من خير حمدت الله تعالى ، وما رأيت من شر استغفرت لكم »[4][5].

---

(١) فيض القدير جـ ٥ ص ٢٧٩.

(٢) أخرجه النسائي في الجهاد باب الإستنصار بالضعيف وانظر جامع الأصول حديث ٢٧٨١.

(٣) التوسل للألباني ص ١١٤ – ١١٥.

(٤) أخرجه ابن سعد عن غالب القطان عن بكر بن عبد الله مرسلاً. طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ١٩٤ .

(٥) الدرر السنية ص ٢٢.

ويقول عبد الله محمد الحسيني (... وهذا الحديث يدل دلالة صريحة على أن النبي ﷺ يشفع لأمته بعد انتقاله ـ باستغفاره لهم. وعلى هذا يجوز التوسل به لأنه استشفاع ...)[١].

الجواب : يقال لهم :

أولاً : الحديث ضعيف بجميع طرقه. فالحكم عليه بالصحة غير صحيح.

يقول الألباني – بعد أن ساق كلام العلماء في هذا الحديث – : (... وجملة القول أن الحديث ضعيف بجميع طرقه. وخيرها : حديث بكر بن عبد الله المزني ، وهو مرسل ، وهو من أقسام الحديث الضعيف عند المحدثين. ثم حديث ابن مسعود : وهو خطأ. وشرها حديث أنس بطريقيه)[٢].

وقال ابن عبد الهادي الحنبلي ـ في معرض رده على من استدل بهذا الحديث.

قال (... هذا خبر مرسل)[٣].

وقال محمد بشير – بعد أن ذكر كلام ابن عبد الهادي في هذا الحديث –

---

(١) إتحاف الأذكياء ص ٢٤ – ٢٥.

(٢)انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة جـ ٢ ص ٤٠٤ – ٤٠٦.

(٣) صيانة الإنسان ص ٢٥٨ .

قال (... فالحكم عليه بالصحة غير صحيح)[١].

ثانياً : أن الحديث معارض[٢] بحديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن حذيفة بن اليمان أنه ﷺ قال : (ليردن على حوضي أقوام ، ثم يختلجون ، فأقول : أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) أخرجه البخاري ومسلم[٣].

والشاهد من هذا الحديث قوله (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك). والحديث الضعيف يقول : (تعرض على أعمالكم) أي هو ﷺ ، يعلم ما عليه أصحابه وغيرهم من أمته من خير أو شر ، فإما أن نقول : السنة متناقضة. وهذا لا يقول به مسلم. أو نقول الحديث الضعيف غير صحيح كما قال الأئمة. وبذلك يزول الأشكال. ويتضح بطلان هذه الشبهة.

الشبهة التاسعة : يقول أحمد دحلان (ومن أدلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب ﷺ التي رواها الطبراني في الكبير[٤]، وفيها أن سواد بن قارب أنشد رسول الله ﷺ قصيدته التي فيها التوسل ولم ينكر عليه. ومنها قوله.

---

(١) صيانة الإنسان ص ٢٥٩.

(٢) انظر : القول الجلي ص ٤٥.

(٣) البخاري في الرقاق باب الحوض. ومسلم في الفضائل باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ ، انظر : جامع الأصول جـ ١٠ ص ١٠١ حديث ٧٥٧١.

(٤) المعجم الكبير للطبراني جـ ٧ ص ١١١.

وأشـــهد أن الله لا رب غـــيره ... وأنـك مـأمون عـلى كـل غائـب

وأنـك أدنـى المرسـلين وسـيلة ... إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

فمرنـا بـما يأتيـك يـا خير مرسـل ... وإن كان فيما فيه شيب الـذوائب

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شـفاعة ... سواك بمغن عن سواد بن قـارب

فلـم ينكـر عليـه رسـول الله ﷺ قولـه (أدنـى المرسـلين وسـيلة) ولا قولـه (وكن لي شفيعاً)[1].

الجواب : يقال لهم :

أولاً : أن الروايات التي ورد فيها الحديث كلها ضعيفة واهية.

وفي المتن : اضطراب ، وإذا كان كذلك لم تقم به حجة.

يقول ابن حجر الهيثمي بعد أن أورد الحديث بروايتين (وكلا الإسنادين ضعيف)[2] .

وقال محمد بشير- بعد أن ذكر كلام الهيثمي - (...قد ثبت منه أن كلا الإسنادين ضعيف ، وفي المتن اضطراب فتنبه)[3].

وقال الرفاعي (... كما ثبت أن كافة طرقه ورواياته التي ورد فيها ضعيفة

---

(١) الدرر السنية ص ٢٧.

(٢) مجمع الزوائد جـ ٨ ص ٢٥٣.

(٣) صيانة الإنسان ص ٢٨٧.

واهية)[١].

ثانياً: على فرض صحة الحديث فإنه لا يدل على جواز التوسل بالذات؛ إذ ليس في الأبيات التي وردت في الحديث أي معنى من معاني التوسل بالذات - كما زعم ابن دحلان - بل كل ما تدل عليه أن أعمال الرسول ﷺ: هي أعظم أعمال المرسلين فصار بذلك أدناهم وأقربهم إلى الله تعالى - كما في البيت الثاني - كما تدل على أن سواد بن قارب يخاطب الرسول ﷺ ويرجوه أن يدعو الله تعالى أن يكون له شفيعاً يوم القيامة - كما في البيت الرابع.

وهذا الخطاب في حياته. وطلب الشفاعة منه حال حياته جائز؛ لأنه طلب لدعائه ﷺ أن يكون سواد في جملة من يشفّعه الله بهم يوم القيامة. وهي من التوسل بدعاء الصالح الحي[٢].

قال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ: (وقول سواد بن قارب هذا من جنس طلب دعائه ﷺ في حياته)[٣]، وبذلك يتضح بطلان استدلالهم بهذا الحديث على التوسل بالذات أو غيره من التوسل الممنوع. والله أعلم.

---

(١) التوصل ص ٣٠٨.

(٢) انظر: صيانة الإنسان ص ٢٨٧ - ٢٨٩ والتوصل ص ٣٠٧.

(٣) مصباح الظلام ص ٢٠٥.

الشبهة العاشرة : ما روي عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده أن أبا بكر الصديق أتى النبي ﷺ فقال : إني أتعلم القرآن ويتفلت مني فقال له رسول الله ﷺ : (قل : اللهم إني أسألك بمحمد نبيك ، وبإبراهيم خليلك ، وبموسى نجيك ، وبعيسى روحك وكلمتك ، وبتوراة موسى وإنجيل عيسى ، وزبور داود ، وفرقان محمد ، وبكل وحي أوحيته وقضاء قضيته ... الحديث)[1].

الجواب : يقال لهم الحديث غير صحيح وإنما هو مكذوب.

يقول ابن تيمية : (وهذا الحديث ذكره رزين بن معاوية العبدري في جامعه ، ونقله ابن الأثير في جامع الأصول[2]، ولم يعزه لا هذا ولا هذا إلى كتاب من كتب المسلمين ، لكنه قد رواه من صنف في عمل اليوم والليلة كابن السني ، وأبي نُعيم ، وفي مثل هذه الكتب أحاديث كثيرة موضوعة لا يجوز الاعتماد عليها في الشريعة باتفاق العلماء ، وقد رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب فضائل الأعمال ، وفي هذا الكتاب أحاديث كثيرة ... موضوعة، ورواه أبو موسى المديني من حديث زيد بن الحباب عن عبدالملك بن هارون بن عنترة وقال ... ليس بالمتصل ... يريد أنه لو كان رجاله ثقات فإن

---

(١) روى هذه الشبهة عنهم شيخ الإسلام ، انظر : قاعدة جليلة ص ٨٣.

(٢) جـ ٤ ص ٣٠٢ برقم ٢٣٠٢.

إسناده منقطع)[١].

ثم قال ابن تيمية : (عبد الملك بن هارون بن عنترة من المعروفين بالكذب)[٢].

وقال يحيى بن معين : كذاب. وقال السعدي : دجال كذاب.

وقال أبو حاتم بن حبان : يضع الحديث. وقال النسائي : متروك الحديث، وقال البخاري منكر الحديث.

وقال ابن عدي : له أحاديث لا يتابعه عليها أحد.

وقال الحاكم في كتاب المدخل : عبد الملك بن هارون بن عنترة الشيباني روى عن أبيه أحاديث موضوعة ، وقال أبو حاتم الرازي متروك الحديث[٣].

وقد ذكر السيوطي هذا الحديث في اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة وقال : عبد الملك دجال مع ما في السند من الأعضال[٤] وعلى

---

(١) قاعدة جليلة ص ٨٣ – ٨٤.

(٢) قاعدة جليلة ص ٨٤.

(٣) انظر : لسان الميزان جـ ٤ ص ٨٤ – ٨٥ والجرح والتعديل جـ ٥ ص ٣٧٤ والضعفاء والمتروكين جـ ٢ ص ١٥٣ وقاعدة جليلة ص ٨٤.

(٤) اللآليء المصنوعة جـ ٢ ص ٣٥٧.

هذا فالحديث رجاله ليسوا ثقات. ولو فرض أنهم ثقات فإنه منقطع - كما قال أبو موسى المديني - وعليه فلا يحتج به . والله أعلم.

الشبهة الحادية عشر : ما ذكره موسى بن عبد الرحمن الصنعاني صاحب التفسير بإسناده عن ابن عباس مرفوعاً أنه قال : (من سره أن يوعيه الله حفظ القرآن وحفظ أصناف العلم فليكتب هذا الدعاء في إناء نظيف أو في صحف قوارير بعسل وزعفران وماء مطر و ليشربه على الريق وليصم ثلاثة أيام وليكن إفطاره عليه ويدعو به في أدبار صلواته : اللهم إني أسألك بأنك مسؤول لم يسأل مثلك ولا يسأل ، وأسألك بحق محمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك ، وعيسى روحك وكلمتك ووجيهك)[1] وذكر تمام الدعاء.

الجواب : يقال لهم هذا الحديث مكذوب فلا يحتج به.

يقول ابن تيمية : (وموسى بن عبد الرحمن هذا من الكذابين).

وقال ابن عدي فيه : منكر الحديث. وقال أبو حاتم بن حبان : دجال يضع الحديث ، وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتاباً في التفسير جمعه من كلام الكلبي ومقاتل ، وقال الذهبي ليس بثقة[2].

---

(١) روى هذه الشبهة عنهم شيخ الإسلام ، انظر : قاعدة جليلة ص ٨٧ – ٨٨.

(٢) انظر : قاعدة جليلة ص ٨٨ ، وميزان الإعتدال جـ ٦ ص ٥٤٩.

ومما يؤكد أن الحديث مكذوب تضمنه بعض الكلمات التي لا تبدوا إلا من كافر.

مثل قوله : (... لم يسأل مثلك ولا يسأل). فقوله (مثلك) يؤكد وضع الحديث وأن واضعه كافر ماكر خبيث. من هو هذا المثيل لله الذي لم يسأل ولا يسأل[1].

لذا ذكره ابن الجوزي في الموضوعات[2]، والسيوطي في اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة[3].

الشبهة الثانية عشر : ما يرويه بعض الجهال أن النبي ﷺ قال (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم). وبعضهم يرويه بلفظ (إذا سألتم الله

---

(١) انظر التوصل ص ٣٢١.

(٢) عن ابن مسعود. وقال : هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ . والمتهم به عمر بن صبح. قال ابن حبان : يضع الحديث على الثقات . وقال ابن عدي : منكر الحديث . وقال الدار قطني : متروك وقال الأزدي : كذاب. انظر : الموضوعات جـ٢ ص٣٥٦ ، والضعفاء والمتروكين جـ ٢ ص ٢١١.

(٣) عن ابن مسعود من طريق عمر بن صبح وموسى بن إبراهيم المروزي . وقال : حديث موضوع.
وموسى بن إبراهيم المروزي كذاب كما قال يحي بن معين. وقال الدار قطني : متروك.
وقال ابن حبان : كان مغفلاً يلقن فيتلقن فاستحق الترك.
انظر اللآليء المصنوعة جـ ٢ ص ٣٥٧ ، والضعفاء والمتروكين جـ ٣ ص ١٤٤.

فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم).

أورد هذه الشبهة محمد التيجاني والسمنهودي مستدلين بها على مشروعية التوسل بالجاه[1].

وجه استدلالهم : قالوا في الحديث أمر بالتوسل بالجاه فهو إذاً مشروع.

الجواب : يقال هذا الحديث كذب لا أصل له في شيء من كتب الحديث البته وإنما يرويه بعض الجهال بالسنة[2].

قال شيخ الإسلام : (... وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث. مع أن جاهه عند الله أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين ... ولكن جاه المخلوق عند الخالق سبحانه ليس كجاه المخلوق عند المخلوق فإنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ... والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه فهو شريك له في حصول المطلوب ، والله سبحانه وتعالى : لا شريك له ، كما قال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا

---

(١) انظر : بغية المستفيد ص ١٢٥ ، وسعادة الدارين ص ٢٠٥ ، كما رواها عنهم شيخ الإسلام. انظر قاعدة جليلة ص ١٢٩.

(٢) انظر : قاعدة جليلة ص ١٢٩ وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة جـ ١ ص ٣٠ والأسنة الحداد ص ٢٣٢.

نَفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ... الآية ﴾[١])[٢] .

وقال الشيخ الألباني : « هذا باطل لا أصل له في شيء من كتب الحديث البتة ... إلى أن قال : فلا يلزم إذاً من كون جاهه ﷺ عند ربه عظيماً أن نتوسل به إلى الله تعالى لعدم ثبوت الأمر به عنه ﷺ)[٣] .

وقال العلامة الألوسي : « وما يذكره بعض العامة من قوله ﷺ (إذا كانت لكم إلى الله تعالى حاجة فاسألوا الله تعالى بجاهي فإن جاهي عند الله تعالى عظيم)، لم يروه أحد من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب الحديث»[٤].

مما ذكرنا أتضح أن الحديث باطل لا أصل له. لكن لا يلزم من بطلانه نفي الجاه عنه ﷺ بل نقول إن جاهه أعظم من جاه جميع الأنبياء إلا أنه لا يلزم من ذلك أن نتوسل به ؛ لأن التوسل أمر توقيفي ولم نقف على نص من الكتاب أو صحيح السنة. يثبت[٥] ذلك والله أعلم.

---

(١) آية ٢٢ – ٢٣ سورة سبأ.

(٢) قاعدة جليلة ص ١٢٩ – ١٣٠.

(٣) التوسل للألباني ص ١٢٨ - ١٢٩ وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة له ص ٣٠.

(٤) روح المعاني جـ ٦ ص ١٢٧.

(٥) انظر قاعدة جليلة ص ١٢٩ والتوسل للألباني ص ١٢٩.

الشبهة الثالثة عشر : حديث : إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور ، أو فاستعينوا بأهل القبور(١).

الجواب : يقال لهم هذا الحديث مكذوب باتفاق العلماء فلا يحتج به.

قال شيخ الإسلام - بعد ذكر هذا الحديث - (فهذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه ، لم يروه أحد من العلماء بذلك ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة)(٢).

وقال أيضاً : (وما يرويه بعض الناس من أنه قال : (إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأهل القبور) أو نحو هذا. فهو كلام موضوع مكذوب باتفاق العلماء)(٣).

وقال ابن القيم : وهو يعد الأمور التي أوقعت عباد القبور في الافتتان بها (... ومنها أحاديث مكذوبة وضعها أشباه عباد الأصنام من المقابرية على رسول الله ﷺ تناقض دينه ، وما جاء به ، كحديث (إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور)(٤).

---

(١) روى هذه الشبهة عنهم شيخ الإسلام ، انظر قاعدة جليلة ص ١٥٢ والفتاوي جـ ١١ ص ٢٩٣.

(٢) قاعدة جليلة ص ١٥٢.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٣٧.

(٤) إغاثة اللهفان جـ ١ ص ٢٣٣.

ومما يؤكد أنه مكذوب ما يلي :

أولاً : أن العلة التي نهى النبي ﷺ لأجلها عن الصلاة عند القبور إنما هي لئلا تكون ذريعة إلى نوع من الشرك ، ومن المعلوم أن المضطر في الدعاء الذي قد نزلت به نازلة فيدعو لاستجلاب خير أو دفع شر حاله في الافتتان بالقبور إذا رجا الإجابة عندها أعظم من حال من يؤدي الفرض عندها في حال العافية.

فإذا كانت العلة التي لأجلها نُهي عن الصلاة عندها متحققة في حال من يتوسل بها كان نهيهم عن ذلك أوكد[١]. وعليه فكل أمر يناقض هذا النهي فهو مكذوب.

ثانياً : أن قصد القبور للدعاء عندها ورجاء الإجابة رجاءاً أكثر من رجاء الإجابة في غير ذلك الموطن أمر لم يشرعه الله ولا رسوله. ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين ولا أئمة المسلمين.

وقد أجدب الصحابة مرات ومع ذلك لم يستسقوا عند قبر النبي ﷺ مما يدل على أن الحديث مكذوب[٢].

ثالثاً : أن الحديث يتعارض مع النقل الصريح.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٣٧ – ٣٣٨ (بتصرف).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٣٨. (بتصرف) وانظر: إغاثة اللهفان جـ١ ص٢٢٣.

قال تعالى : ﴿... وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾(1).

وقال ﷺ : (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر ما صنعوا)(2).

وما يتعارض مع الكتاب أو السنة الصحيحة فهو مكذوب.

الشبهة الرابعة عشر : وهي استدلالهم بآثار وحكايات ضعيفة أو موضوعة وهي مهما كثرت أو صح شيء منها فلا دلالة فيها على جواز التوسل بالجاه أو الذات أو غيرهما من التوسل الممنوع ؛ ذلك أن العقيدة الإسلامية توقيفية على الكتاب وصحيح السنة. وما سواهما إن وافق الكتاب والسنة الصحيحة أخذ به مؤيداً وليس دليلاً ، وإن خالفهما أو أحدهما فهو مردود. ونذكر شيئاً منها مع بيان درجتها من الصحة والضعف. وهل فيها دلالة على ما يزعمونه أم لا ؟

الأثر الأول : قال ابن حجر (وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الداري - وكان خازن عمر - قال :

---

(١) آية ١٣ - ١٤ سورة فاطر.

(٢) رواه البخاري ومسلم . انظر جامع الأصول حديث ٣٦٧٠.

(أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتي الرجل في المنام ، فقيل له : أئت عمر ... الحديث) . وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأي المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة)[1] .

وممن استدل به السبكي وأحمد بن دحلان ، والزهاوي ، و محمد الفقي، و محل استدلالهم طلبه الاستسقاء من الرسول ﷺ بعد وفاته[2].

الجواب : يقال لهم :

أولاً : عدم التسليم بصحة هذه القصة ؛ لأن مالكاً الداري غير معروف العدالة والضبط ، وهما شرطان أساسيان في كل سند صحيح ، كما تقرر في علم المصطلح. ولا ينافي هذا قول الحافظ بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان ؛ لأن التصحيح ليس نصاً في تصحيح جميع السند بل إلى أبي صالح فقط ، ولولا ذلك لقال عن مالك الداري وإسناده صحيح. وعليه فالأثر ضعيف لجهالة مالك فلا يحتج به.

ثانياً : على فرض أن القصة صحيحة فلا حجة فيها ؛ لأن مدارها على

---

(١) فتح الباري جـ ٢ ص ٤٩٥ – ٤٩٦.

(٢) انظر : شفاء السقام ص ١٤٥ والدرر السنية ص ٩ والضياء الشارق ص ٥٤٦ ، والتوسل محمد الفقي ص ١٥٤.

رجل لم يُسَم ، كما أن فيها مخالفة للسنة من استحباب إقامة صلاة الاستسقاء لاستنزال الغيث من السماء ، ولأن عمل الصحابة على خلافها - وهم أعلم الناس بعد رسول الله بالشرع - ولذا لم ينقل عن أحد منهم أنه أتى إلى قبره ﷺ يسأله السقيا ولا غيرها ، ولو كان مشروعاً لفعلوه ولو مرة واحدة بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلى الاستسقاء بالعباس ولم ينكر عليه أحد من الصحابة فدل ذلك على أن ما فعله عمر هو الحق وأن ما فعله هذا الرجل - لو قدر أنه صحيح - منكر ووسيلة إلى الشرك.

وأما تسمية السائل في رواية سيف المذكورة (بلال بن الحارث) . فمردودة أيضاً ؛ لأن سيفاً هذا هو ابن عمر التميمي - متفق على ضعفه عند المحدثين بل قال ابن حبان فيه « يروي الموضوعات عن الأثبات ، وقالوا : إنه كان يضع الحديث) ومن كانت هذه حاله فلا تقبل روايته لاسيما عند المخالفة[1].

الأثر الثاني : قال أحمد دحلان : (... ذكر السمهودي في خلاصة الوفاء أن من الأدلة الدالة على صحة التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته ما رواه الدارمي في سننه عن أبي الجوزاء قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى

---

(١) انظر حاشية فتح الباري للشيخ ابن باز جـ ٢ ص ٤٩٥ ، والتوسل للألباني ص ١٣١ - ١٣٣ والكاشف للذهبي جـ ١ ص ٣٣٣.

عائشة رضي الله عنها ـ فقالت : انظروا إلى قبر رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق »[١] [٢]. كما استدل به محمد الفقي[٣]. وعبد الله الحسيني[٤].

الجواب : يقال لهم : أولاً : هذا الأثر غير صحيح فلا تقوم به حجة لما يلي :

أ- أن في سنده أبو النعمان – محمد بن الفضل يعرف بعارم – اختلط في آخر عمره قال الذهبي : تغير قبل موته وترك الأخذ منه ـ وقال البخاري : تغير في آخر عمره ، والحكم فيمن اختلط : أن لا يقبل حديث من أخذ منه بعد الاختلاط أو أشكل أمره فلم يُدر هل أخذ منه قبل الاختلاط أو بعده ، – وهذا الأثر لا يدرى هل سمعه الدارمي منه قبل الاختلاط أم بعده – فهو إذاً غير مقبول.

ب- في سنده سعيد بن زيد ـ فيه ضعف ـ قال الذهبي : (قال : يحيى بن

---

(١) سنن الدارمي جـ ١ ص ٤٣ عن أبي النعمان ـ عن سعيد بن زيد عن عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء.

(٢) الدرر السنية ص ٢٠.

(٣) انظر : التوسل محمد الفقي ص ١٥٥.

(٤) انظر : إتحاف الأذكياء ص ٣٥.

سعيد : ضعيف ، وقال السعدي : ليس بحجة يضعفون حديثه ـ وقال النسائي وغيره ـ ليس بالقوي.

ج- في سنده عمرو بن مالك النكري ـ قال الحافظ في التقريب : صدوق له أوهام.

د- في سنده أبو الجوزاء ـ أوس بن عبد الله ـ قال الحافظ في التقريب : يرسل كثيراً. وقال البخاري : في إسناده نظر[١].

وقال محمد بشير ـ بعد أن تكلم ، في سند هذا الأثر ـ (فقد ثبت من هناك أن هذا الحديث ضعيف منقطع)[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وما روي عن عائشة رضي الله عنها من فتح الكوة من قبره إلى السماء ، لينزل المطر فليس بصحيح ولا يثبت إسناده ، وإنما نقل ذلك من هو معروف بالكذب ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة ...)[٣].

ثانياً : على فرض أنه صحيح فإنه موقوف على عائشة ـ فلا يحتج به عند المحققين ؛ لأنه يصبح من الآراء الاجتهادية التي يخطئ أصحابها

---

(١) انظر : التوسل للألباني ص ١٤٠ – ١٤١ ، وصيانة الإنسان ص ٢٥٣ – ٢٥٤.

(٢) صيانة الإنسان ص ٢٥٤.

(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ص ٦٨ – ٦٩.

ويصيبون، والعقيدة توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها. إضافة إلى ذلك كله فإنه يعارضه ما روي عن عمر أنه أمر بتعمية قبر دانيال خشية الافتتان به. فقد ذكر محمد بن إسحاق عن خالد بن دينار عن أبي العالية قال :(لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت ، عند رأسه مصحف له فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب ... قلت : فما صنعتم بالرجل ؟. قال : حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة ، فلما كان الليل دفناه ، وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس ، لا ينبشونه ...)[1].

فأنظر ما في هذه القصة من صنع أصحاب رسول الله ﷺ وتعمية قبر هذا الرجل لئلا يفتتن به الناس[2]، هذا يؤكد أنه مستحيل من رجال هذا صنعهم أن يبرزوا قبر رسول الله ، أو يرضوا بذلك لأجل نزول المطر كما زعم من نقل هذا الأثر.

الأثر الثالث : خبر مرثية صفية عمة الرسول ﷺ.

يقول أحمد دحلان (وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضي عنها عمة رسول الله ﷺ فإنها رثته بعد وفاته ﷺ بأبيات فيها : قولها : (ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا . وكنت بنا براً ولم تك جافيا) ففيها النداء بعد وفاته مع قولها

---

(١) السير والمغازي ص ٦٦.

(٢) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٥٤ – ٢٥٥ ، والتوسل للألباني ص ١٤١ ، وإغاثة اللهفان جـ ١ ص ٢٢٢ ، ٢٢٨

(أنت رجاؤنا) وسمع تلك المرثية الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكر عليها أحد قولها : يا رسول الله أنت رجاؤنا)[١].

الجواب : يقال لهم :

أولاً : قيل أن هذه القصيدة ليست لصفية رضي الله عنها ، يؤيد ذلك ـ أن ابن هشام لم يذكرها في سيرته في جملة المراثي التي قيلت في رسول الله ﷺ بعد وفاته.

ثانياً : أن هذا الخبر ذكر في سنده أنه عن عروة بن الزبير قال : قالت[٢] صفية ـ وفيه انقطاع بين عروة وبين صفية جدته لأبيه فقد ولد عروة سنة ٢٩هـ كما في التهذيب[٣] ونحوه.

ولما كانت المرثية عقب وفاته ﷺ فتكون ولادته بعد القصيدة بتسعة عشر سنة. وصفية ماتت سنة ٢٠هـ . أي قبل ولادة عروة بتسع سنين ، وعليه فإن عروة لم يدرك صفية ، وروايته عن أبيه الزبير مرسلة ، فكيف عن أم أبيه فإنها أيضاً منقطعة ومرسلة.

---

(١) الدرر السنية ص ٢٧.

(٢) انظر : مجمع الزوائد جـ ٩ ص ٤٢.

(٣) التهذيب جـ ٢٠ ص ٢٢ وقيل ولد سنة ٢٣. انظر : التهذيب الجزء والصفحة وعلى كلا القولين فهو لم يدرك صفية ، فالرواية منقطعة مرسلة.

ثالثاً : أن في هذا البيت الذي استشهد به تحريفاً عن أصله فقد ذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد[1] فقال : روى الطبراني بإسناد حسن عن عروة بن الزبير قال : قالت صفية ترثي رسول الله ﷺ : ألا يا رسول الله كنت رجاؤنا ، وكنت بنا براً ولم تك جافياً. هكذا رواه الطبراني - فحرفه أحمد دحلان فقال : (أنت رجاؤنا) ليدل هذا اللفظ على أن رسول الله ﷺ رجاء في الحياة وبعد الممات.

وإذا ثبت تحريفه بطل الاستدلال به.

أما قول صفية كما رواه الطبراني وهو (كنت رجاؤنا) فهو حجة عليهم ؛ حيث فرقت بين الحياة ، وبعد الممات. فهو في حياته كانوا يرجعون إليه فيدعو الله لهم. وإنما لجئوا إلى هذا التحريف ليثبتوا باطلهم ، وعلى هذا فإن الخبر ضعيف لا تثبت به حجة. وعلى فرض صحته ، فإنه محرف المتن واحتجوا به بعد التحريف.

رابعاً : لو قدر أنه صحيح غير محرف فإنه لا دلالة فيه على ما زعموه ؛ ذلك أن المراد من المرثية أنه ﷺ رجاء بمعنى مرجو - في الأمر الذي يقدر عليه في حياته وبعد وفاته :

فيما ثبت بالكتاب والسنة كونه رجاء فيه.

---

(١) مجمع الزوائد جـ ٩ ص ٤٢.

أما ما ورد في الخبر من النداء. فنقول :

أولاً : أن (يا) هنا للندبة لا للنداء كقول فاطمة رضي الله عنها ـ يا أبتاه أجاب رباً دعاه.

ثانياً : لو سلم ثبوت النداء منها فلا يثبت منه مطلوب الخصم ؛ ذلك أن النزاع إنما هو في نداء يتضمن الدعاء والطلب ـ مثل أن يقال : يا رسول الله أشفني أو يا رسول الله أستغفر لي ـ فالأول : شرك ، والثاني : بدعة بعد وفاته ﷺ ووسيلة إلى الشرك ـ وليس في المرثية دعاء شيء ولا طلبه. وعليه فلا دلالة في هذا الخبر على ما زعموه.

خامساً : إضافة إلى ما ذكرنا كله فإنه لا يصح الاستدلال في أمور العقيدة بمثل كلمة في جملة ينطق بها صحابي أو صحابية لاسيما في الشعر الذي اعتاد أهله المبالغة في المدح والتلهف ـ فالله لم يتعبد الأمة بغير قوله وقول رسوله ﷺ[1] .

الرابع : حكاية الإمام مالك مع المنصور في التوسل.

يقول أحمد دحلان : (وإلى هذا التوسل أشار الإمام مالك للخليفة المنصور ، وذلك أنه لما حج المنصور وزار قبر النبي ﷺ سأل الإمام مالكاً ـ

---

(١) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٨٩ – ٢٩٨ (المتن والحاشية) ، والتوصل ص ٣٣٠ – ٣٣٢.

وهو بالمسجد النبوي ـ فقال لمالك : يا أبا عبد الله استقبل القبلة وأدعو ، أم أستقبل رسول الله ﷺ وادعو ؟.

فقال له الإمام مالك : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك ، قال الله تعالى : ﴿... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ... الآية﴾[1] ذكرها القاضي عياض في الشفا[2] عن محمد بن حميد[3].

الجواب : يقال لهم هذه الحكاية غير صحيحة[4] عنه ـ لأمور منها :

أولاً: في الإسناد علل منها :

أ- أنه منقطع إذ أن فيه محمد بن حميد الرازي ـ لم يدرك مالكاً لا سيما في زمن أبي جعفر فإن أبا جعفر توفي سنة ١٥٨هـ وتوفي مالك سنة ١٧٩هـ وتوفي محمد بن حميد سنة ٢٤٨ هـ ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه. وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث. كذبه أبو زرعة ، وابن وارة ، وقال صالح محمد الأسدي : ما

---

(١) آية ٦٤ سورة النساء.

(٢) الشفاء جـ ٢ ص ٣٥٠ بإسناد غريب منقطع ـ كما قال شيخ الإسلام ـ انظر : قاعدة جليلة ص ٦٦-٦٧.

(٣) الدرر السنية ص ٩ – ١٠ كما استدل بها محمد الفقي . انظر : التوسل له ص ١٥٣.

(٤) انظر قاعدة جليلة ص ٧٠ والصارم المنكي ص ٣٤٥ .

رأيت أحداً أجرأ على الله منه ، وأحذق بالكذب منه. وقال يعقوب بن شيبه : كثير المناكير. وقال النسائي : ليس بثقة.

وقال ابن عبد الهادي الحنبلي (وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف كثير المناكير غير محتج بروايته. لم يسمع عن مالك شيئاً ولم يلقه بل روايته عنه منقطعة)[١].

ب-أن هذه الحكاية لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه ولم تعرف إلا من جهة محمد بن حميد - وهو ضعيف عند أهل الحديث إذا أسند فكيف إذا أرسل حكاية لا تعرف إلا من جهته[٢].

ج- أن في الإسناد أيضاً من لا يعرف حاله كما قال شيخ الإسلام[٣].

ثانياً : أن أصحاب مالك متفقون على أنه بمثل هذا النقل لا يثبت عن مالك قول له في مسألة في الفقه ؛ ذلك أنهم إنما يعتمدون على رواية المدنيين والمصريين.

فكيف بمسألة فقهيه عقدية تناقض مذهبه المعروف عنه مناقضة صريحة رواها واحد من الخراسانيين لم يدركه وهو ضعيف عند أهل الحديث[٤].

---

(١) قاعدة جليلة ص٦٧ والكاشف للذهبي ج٣ ص٣٢ والصارم المنكي ص ٣٤٥.

(٢) قاعدة جليلة ص ٦٧.

(٣) قاعدة جليلة ص ٦٧.

(٤) قاعدة جليلة ص ١٢٥ (بتصرف) وانظر تقديم المحقق ص ٢٨..

ثالثاً : أن هذه الحكاية مناقضة لمذهب مالك المعروف عنه من وجوه منها :

الأول : قوله (ولم تصرف وجهك عنه ...) فإن المعروف عن مالك وغيره من الأئمة وسائر السلف من الصحابة التابعين أن الداعي إذا سلم على النبي ﷺ ثم أراد أن يدعو لنفسه فإنه يستقبل القبلة ويدعو في المسجد.

قال ابن تيمية : (ومذهب الأئمة الأربعة ... وغيرهم من أئمة الإسلام أن الرجل إذا سلم على النبي ﷺ وأراد أن يدعو لنفسه فإن يستقبل القبلة)(١)، أما عند القبر فيقتصر على السلام - بل كره مالك إطالة القيام لذلك(٢).

قال القاضي عياض في المبسوط عن مالك قال: (لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ، ولكن يسلم ويمضي)(٣).

الثاني: قوله (استقبله واستشفع به) كذلك مناقض لمذهب مالك وغيره من سلف هذه الأمة ، مخالف لأقوالهم وأفعالهم ؛ إذ لم يقل به أحد من السلف لا مالك ولا غيره ولم يفعلوه ، بل كانوا لا يستقبلون القبر للدعاء لأنفسهم فضلاً عن أن يستقبلوه ويستشفعوا به. ذلك أنه غير مشروع(٤).

---

(١) قاعدة جليلة ص ١٥٠.

(٢) الفتاوي جـ ١ ص ٢٣٠.

(٣) الفتاوي جـ ١ ص ٢٣٠.

(٤) انظر : قاعدة جليلة ص ٦٨ – ٧٠ ، ٧٤ – ٧٦ واقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٩٣ – ٣٩٤ وإغاثة اللهفان جـ ١ ص ٢٢٠ – ٢٢١.

ولذا قال شيخ الإسلام ـ في معرض رده على هذه الشبهة ـ (... فدل ذلك على أن ما في الحكاية المنقطعة من قوله (استقبله واستشفع به) كذب على مالك مخالف لأقواله وأقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم التي يفعلها مالك وأصحابه ونقلها سائر العلماء ...)[1].

رابعاً : كذلك مما يؤكد عدم صحتها أن ما نسب إلى مالك منها لم يأمر به النبي ﷺ ولا سنه لأمته ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين ولا أستحبه أحد من أئمة المسلمين لا مالك ولا غيره فكيف يجوز أن ينسب إلى مالك مثل هذا الكلام الذي لا يقوله إلا جاهل مع علو قدر مالك وتمام رغبته في إتباع السنة[2].

فتبين بما ذكرنا أنها غير صحيحة. ولو كانت صحيحة مخالفة للكتاب أو السنة لم يلتفت إليها فكيف وهي مكذوبة.

الخامس : حكاية توسل الشافعي بأبي حنيفة ، وبأهل البيت.

يقول أحمد دحلان : (وقال ابن حجر في كتابه المسمي (بالخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان) في الفصل الخامس والعشرين ... إن الإمام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي

---

(١) قاعدة جليلة ص ٧٠.

(٢) قاعدة جليلة ص ٧٤ – ٧٥.(بتصرف).

حنيفة ...)[1].

وقال أيضاً : (وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى (بالصواعق المحرقة لإخوان الضلال والزندقة) : أن الإمام الشافعي رحمه الله توسل بأهل البيت النبوي حيث قال :

آل البيت ذريعتي — وهم إليه وسيلتي

أرجو بهم أعطى غدا — بيدي اليمين صحيفتي[2]

الجواب : يقال لهم :

أولاً : لابد من رفع الحكايتين إلى أصحابها بسند يعتمد عليه ، وإلا فهي مجرد دعوى لا قيمة لها[3]. لاسيما إذا كان المتهم من أشد العلماء تمسكاً بالسنة و محاربة البدعة.

ثانياً : أن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن بها قبر ينتاب للدعاء البتة. بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفاً . وقد رأى الشافعي بالحجاز والشام والعراق من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله من العلماء ، فما باله لم يتوخ

---

(١) (٢) الدرر السنية ص ٢٧ – ٣٨ ، كما أوردها عبد الله الحسيني مستدلاً بها في كتابه إتحاف الأذكياء ص ٤١.

(٣) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٩٨.

الدعاء إلا عند قبر أبي حنيفة ؟[١].

ثالثاً : أن الإمام الشافعي يعلم تمام العلم أنه غير مشروع في الكتاب والسنة ، ولذا ثبت عنه كراهة تعظيم قبور الصالحين خشية الفتنة بها[٢] ، فكيف يقدم على بدعة لا يقرها. هذا مستحيل من مثله.

ولذا قال ابن تيمية : بعد أن أورد هذه الحكاية (... وهذا كذب معلوم كذبه بالاضطرار عند من له أدنى معرفة بالنقل)[٣].

وقال ابن القيم : (والحكاية المنقولة عن الشافعي انه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة ، من الكذب الظاهر)[٤].

رابعاً : أن الأبيات المذكورة مكذوبة على الإمام الشافعي لخلوها من السند الصحيح ـ كما أشرت إليه آنفاً ـ ولمخالفتها لمنهجه رحمه الله ، ولو قدر أنها صحيحة فإنها لا تضمن التوسل بالذات ؛ إذ معناها : أن حب آل البيت واتباعهم وشفاعتهم والصلاة عليهم ذريعتي ووسيلتي ، وكذا قوله (أرجو بهم) أي أرجو يحبهم واتباعهم وشفاعتهم ، مثل قول عمر : (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ...) فإن المراد

---

(١) (٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٤٣ – ٣٤٤.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٤٣.

(٤) إغاثة اللهفان جـ ١ ص ٢٣٦.

أنا كنا نتوسل إليك بدعاء نبينا"[1].

مما ذكرنا اتضح أن هاتين الحكايتين مكذوبتان على الإمام الشافعي رحمه الله.

والصحيح من مثلها إذا خالف الكتاب والسنة لا يعتد به فكيف المكذوب.

ثالثاً : شبهاتهم من العقل : منها ما يلي :

الشبهة الأولى : قياس التوسل بالذات على التوسل بالعمل الصالح.

يقول السبكي : (وإذا جاز السؤال بالأعمال وهي مخلوقة فالسؤال بالنبي ﷺ أولى)[2].

ويقول أحمد دحلان : (وإذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة كما في صحيح البخاري في حديث الثلاثة الذين أووا إلى غار ... فالتوسل به ﷺ أحق وأولى لما فيه من النبوة والفضائل سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته ...)[3].

الجواب : يقال لهم :

---

(١) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٩٨ – ٢٩٩.

(٢) شفاء السقام ص ١٣٦.

(٣) الدرر السنة ص ٢٦.

أولاً : أن هذا قياس ، والقياس في العقيدة باطل ؛ ذلك أنها توقيفية على الكتاب والسنة الصحيحة فلا مجال للاجتهاد فيها.

ثانياً : أنه قياس مع الفارق ـ فالتوسل بالأعمال : إنما هو التقرب إلى الله بما شرعه لعباده في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ؛ إذ هي التي تزكي نفس العامل وتجعله أهلاً لقبول دعائه.

أما ذات الغير فلم يشرع الله التقرب بها ، كما أنها لا تأثير لها البتة في تزكية المتقرب بها مهما كانت تلك الذات فاضلة بعملها المزكي لها ؛ ذلك أن التزكية تأتي من العمل ، لا من الذات.

ثالثاً : أن قولكم هذا يلزمنا لو قلنا أنه يجوز التوسل بعمل الغير ، ونحن لا نقول ذلك ولم يقل به أحد من السلف. فإذا كان التوسل بعمل الغير لا يجوز فالتوسل بذاته من باب أولى لا يجوز(١).

الشبهة الثانية : قياس الخالق على المخلوق :

وموجز هذه الشبهة : يقولون : إننا نتوسل بذوات الأنبياء والصالحين عند الله كما نتوسل بأصحاب الجاه والمنزلة عند الملك أو نحوه.

أي نجعل الأنبياء أو الصالحين واسطة بيننا وبين الله. كما نجعل صاحب

---

(١) انظر : صيانة الإنسان ص ٢٠٩ ، ٢٨٥ (المتن والحاشية) ، والتوسل للألباني ص ١٥٢.

الجاه والمنزلة عند الملك واسطة بيننا وبينه في قضاء حوائجنا ؛ لأننا لا نقدر أن نصل إلى الله بغير ذلك[١].

يقول محمد عطا (وإنما الطلب من هؤلاء الصالحين على سبيل التوسط بحصول المقصود من الله تعالى لعلو شأنهم عنده سبحانه)[٢].

الجواب : يقال لهم :

أولاً : هذا قياس. والقياس في العقيدة باطل إذ هي توقيفية فلا مجال للاجتهاد فيها.

ثانياً : أن فيما زعمتم تشبيه للخالق بالمخلوق وهذا باطل ، قال تعالى : ﴿... كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٣].

ثالثاً : قياسكم قياس مع الفارق ، فالمخلوق قد تعتريه علل تستلزم وجود الواسطة بينه وبين صاحب الحاجة ، من ظلم أو كبر أو جهل ، أو منفعة يتطلع إليها ، أو غيرها من العلل التي تكون حائلة دون قضاء مصالح الناس ، أما الخالق فيتنزه عن هذه العلل وغيرها ، فهو الغني القريب المجيب السميع العليم الرؤوف الرحيم.

---

(١) انظر : الدرر السنية ص ٢٦ ، وشفاء السقام ص ١٤٤ ، والتوسل للألباني ص ١٤٥ ، والقول الجلي ص ٤١.

(٢) انظر : الأقوال المرضية له ضمن (الصواعق المرسلة لابن سحمان) ص ١٤٤.

(٣) آية ١١ سورة الشورى.

رابعاً : عندما قستم الله بخلقه شبهتموه بأصحاب الصفات الدنيئة الذين لا يعطون الناس حقوقهم إلا بواسطة.

إنكم لو شبهتموه - سبحانه وتعالى - بأصحاب الصفات الفاضلة لكفرتم فكيف وقد شبهتموه بأصحاب الصفات الدنيئة[1].

قال شيخ الإسلام : (... وإن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه - كالحجاب الذين بين الملك ورعيته - بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه ، فالله تعالى إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم فالخلق يسألونهم ، وهم يسألون الله ، كما أن الوسائط عند الملوك : يسألون الملوك الحوائج للناس، لقربهم منهم ، والناس يسألونهم ... فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه : فهو كافر مشرك ... وهؤلاء مشبهون لله شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله أنداداً ...)[2].

* * *

---

(١) انظر صيانة الإنسان ص ١٨٠ – ١٨٢ والتوسل للألباني ص ١٤٦ – ١٤٨ . والقول الفصل النفيس ص ٧٩.

(٢) الفتاوي جـ ١ ص ١٢٦.

الخاتمة

بسم الله بدأنا وبحمده والشكر له ختمنا ونصلي ونسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد : فإلى القارئ الكريم بعض النتائج التي توصلت إليها من هذا البحث المتواضع.

إنه من دراستي للتوسل المشروع والممنوع توصلت إلى نتائج هامة منها ما يلي :

الأولى : أن التوسل في أصل اللغة هو : التقرب إلى المطلوب .

وأن الوسيلة : في الأصل : ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به.

الثانية : أن التوسل في الشرع : هو التقرب إلى الله تعالى بما شرعه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، وأن الوسيلة : هي : ما يتقرب به إلى الله رجاء حصول مرغوب أو دفع مرهوب من فعل الواجبات والمستحبات أو ترك المنهيات.

الثالثة : أن الوسيلة تكون مشروعة وتكون ممنوعة ـ فما وافق الكتاب وصحيح السنة فهي مشروعة وما خالفهما أو أحدهما فهي ممنوعة.

وعليه فالتوسل قسمان : مشروع وممنوع.

الرابعة : أن التوسل المشروع هو ما وافق الكتاب أو صحيح السنة.

ومن أنواعـــه :

الأول : التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته.

الثاني : التوسل بالأعمال الصالحة.

الثالث : التوسل بدعاء الصالح الحي.

الرابع : التوسل بذكر الحال.

الخامسة : أن التوسل الممنوع : هو تقرب العبد إلى الله بما لم يثبت في الكتاب ولا في صحيح السنة : أنه وسيلة. وأنه نوعان :

الأول : التوسل بوسيلة نص الشارع على بطلانها مثل توسل المشركين بآلهتهم.

الثاني : التوسل بوسيلة دلت قواعد الشرع على بطلانها. ومن أنواعه :

١- التوسل إلى الله بذات مخلوق.

٢- التوسل إلى الله بجاه مخلوق أو حقه ونحوهما.

٣- التوجه إلى ميت طالباً منه أن يدعو الله له.

٤- أن يسأل العبد ربه حاجته مقسماً بنبيه أو وليه أو بحق نبيه أو وليه ونحوهما.

السادسة : أن التوسل الممنوع محرم ؛ ذلك أنه إما شرك كأن يعتقد في

المتوسل به شيئاً من النفع أو الضر من دون الله. أو وسيلة إلى الشرك كأن يتوسل بجاه أو ذات مخلوق، ونحو ذلك. أو يتوجه إلى ميت طالباً أن يدعو الله له.

إذ في ذلك إطراء للمتوسل به يجر شيئاً فشيئاً إلى اعتقاد أن فيه نفعاً من دون الله ومن ثم يحصل دعاؤه فيقع في الشرك.

السابعة : أن التوسل الممنوع باطل بنوعيه :

أما الأول : فبطلانه ظاهر ولذا نص الشارع، على بطلانه إذ هو عين الشرك.

وأما الثاني : فإنه لم يرد له دليل في الكتاب أو السنة الصحيحة.

ويؤكد ذلك أن الصحابة وغيرهم من أهل القرون المفضلة لم يعملوا به ولو كان موجوداً فيهما أو في أحدهما لعملوا به كما أنه ذريعة إلى الشرك.

الثامنة : التوسل بالذات إضافة إلى أنه لم يرد له دليل في الكتاب ولا السنة الصحيحة فإن فيه شبهاً بتوسل المشركين بآلهتهم، كما أن فيه انتقاصاً لله تعالى وتنزيلاً له منزلة المخلوق الذي يحابي في فضله وحكمه فيعطي من له وسيط أكثر مما يعطي غيره ويحرم من ليس له وسيط لجهله بحاله. وبعده عن سماع مقاله.

التاسعة : أن في التوسل بدعاء الميت، دعاء ميت، وقد ورد النهي عنه

والوعيد عليه، إذ هو شرك أو ذريعة إلى الشرك.

العاشرة: التوسل بالجاه أو الحق ونحوهما: إضافة إلى عدم ثبوته بالكتاب والسنة الصحيحة فإن فيه توسل بعمل الغير وفيه اعتداء بالدعاء، كما أنه يتضمن أن للمخلوق حق على الله وليس على الله حق إلا ما أحقه على نفسه بوعده الصادق.

الحادية عشر: الإقسام على الله بالمتوسل به، إضافة إلى عدم ثبوته في الكتاب والسنة الصحيحة. فإن فيه إقسام بغير الله، وفيه تعظيم للمخلوق ورفعه فوق منزلة الخالق؛ إذ من المسلم به أن المحلوف به يكون أعظم من المحلوف عليه.

الثانية عشر: أن من قال بشيء من التوسل الممنوع إنما تمسك بشبهات من الكتاب أو السنة أو أقوال أو أفعال الصحابة والتابعين أو العقل.

الثالثة عشر: لقد اتضح من مناقشة شبهاتهم: أن استدلالهم بالكتاب خاطئ نتج عن سوء فهمهم لكتاب الله بل هو حجة عليهم في بعض ما استدلوا به.

أما السنة وأقوال وأفعال الصحابة والتابعين فهو إما استدلال في غير محله. أو حديث أو أثر ضعيف أو موضوع.

أما شبهاتهم من العقل: فهي تستلزم القياس وهو مردود، إذ العقيدة توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها.

كما أنها تستلزم تشبيه الله بخلقه وهو باطل ، إذ لا شبيه له سبحانه.

قال تعالى : ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ...﴾[١] .

ومما ذكرنا اتضح بطلان قول من قال بالتوسل الممنوع أو شيء منه.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

---

(١) آية ١١ سورة الشورى.

فهـــرس المراجـــع

١- القرآن الكريم.

٢- إتحاف الأذكياء ـ عبد الله بن محمد بن الصديق الحسيني ـ ط الثانية ١٤٠٥هـ ـ عالم الكتب بيروت لبنان.

٣- الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة ـ عبد الرحمن الدوسري ـ ط الأولى ١٤٠٢هـ ـ دار الأرقم الكويت.

٤- الأذكار للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ـ ط الرابعة ١٣٧٥هـ ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٥- أسباب النزول للسيوطي بهامش (تفسير وبيان مفردات القرآن) ـ ط ١٤٠٥هـ ـ مؤسسة الإيمان دار الرشيد دمشق بيروت.

٦- الأسنة الحداد ، سليمان بن سحمان ، ط الثانية ١٣٧٦هـ ، مطابع الرياض.

٧- الإصابة في تمييز الصحابة ـ للحافظ أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المعروف بابن حجر ـ ط ١٣٥٩هـ ـ دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

٨- أضواء البيان ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ط الأولى ١٤١٧هـ دار أحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٩- الأعلام ، خير الدين الزركلي ط السادسة ١٩٨٤م دار العلم للملايين بيروت لبنان.

١٠- أعلام الموقعين للإمام ابن القيم ط ١٣٨٨هـ الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية.

١١- إغاثة اللهفان ـ للإمام ابن القيم ـ ط ١٣٨١هـ ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٢- اقتضاء الصراط المستقيم ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ ط الثانية ١٣٦٩هـ ـ مكتبة السنة المحمدية.

١٣- الأقوال المرضية (ضمن الصواعق المرسلة) ـ محمد عطا الكسم ـ ط الأولى ١٤٠٩هـ ـ دار العاصمة الرياض.

١٤- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير أبي بكر جابر الجزائري ـ ط الثانية ١٤٠٧هـ.

١٥- البروق النجدية ـ علي بن علي النجدي القصيمي ـ ط ١٣٥٠هـ ـ مطبعة المنار بمصر.

١٦- بغية المستفيد بشرح منية المريد محمد العربي السائح الشرقي العمري التيجاني ط الأولى ١٣٨٠هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الناشر : دار الجيل بيروت لبنان.

١٧- تطهير الجنان ـ أحمد بن حجر بوطامي ـ ط الرابعة ١٣٩٦هـ ـ الدار السلفية الكويت.

١٨- تفسير أبي السعود ـ أبي السعود محمد بن محمد العمادي ـ ط الأولى ١٩٨٣م ـ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

١٩- تفسير الحسن البصري جمع وتحقيق ـ د/ عمر يوسف كمال ـ ط الأولى ١٤١٣هـ ـ الجامعة العربية.

٢٠- تفسير ابن سعدي ـ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي ـ ط ١٣٩٨هـ ـ مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ـ مكة المكرمة.

٢١- تفسير الشوكاني (فتح القدير). محمد بن على الشوكاني - ط ١٤٠١هـ - دار الفكر.

٢٢- تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) - محمد بن جرير الطبري - ط ١٤٠٦هـ دار المعرفة بيروت لبنان.

٢٣- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - ط ١٣٨٧هـ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة.

٢٤- تفسير ابن عباس ، عبد الله بن العباس ﷺ (بهامش الدرر المنشور) دار المعرفة بيروت لبنان.

٢٥- تفسير ابن كثير - أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ط ١٣٨٨هـ دار المعرفة بيروت لبنان.

٢٦- تفسير ابن مسعود - إعداد محمد أحمد عيسوى - ط الأولى ١٤٠٥هـ - مؤسسة الملك فيصل الخيرية.

٢٧- تفسير مجاهد - للإمام مجاهد بن جبر - تحقيق / محمد عبد السلام أبو الخيل - ط الأولى ١٤١٠هـ - دار الفكر الإسلامي الحديثة - مدينة نصر.

٢٨- تفسير المنار - محمد رشيد رضا - ط الثانية - دار المعرفة بيروت لبنان.

٢٩- تفسير النسفي - أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي. الناشر - دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

٣٠- تقريب التهذيب لابن حجر العبسقلاني ، دار المعرفة بيروت لبنان.

٣١- تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية ط ١٣٤٦هـ المطبعة السلفية بمصر.

٣٢- التلخيص ـ للإمام الحافظ الذهبي (مطبوع مع المستدرك للحاكم) الناشر : مكتبة المطبوعات الإسلامية بيروت لبنان.

٣٣- التوسل والزيارة في الشريعة الإسلامية ـ محمد الفقي ـ ط الأولى ١٣٨٨هـ ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٣٤- التوسل أنواعه وأحكامه ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ ط الخامسة ١٤٠٦هـ ـ المكتب الإسلامي بيروت لبنان.

٣٥- التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع ـ محمد نسيب الرفاعي ـ ط الرابعة.

٣٦- تهذيب شرح الطحاوية ـ هذبه د/ محمد صلاح محمد الصاوي / ط الأولى ١٤١٠هـ دار الفرقان ـ مطبعة المدني ـ المؤسسة السعودية بمصر القاهرة.

٣٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ للحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي ط الأولى ١٤١٣هـ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

٣٨- تيسير العزيز الحميد للشيخ / سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

٣٩- جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري ط ١٣٨٩هـ الناشر : مكتبة الحلواني ـ مطبعة الملاح ـ مكتبة دار البيان.

٤٠- الجرح والتعديل ـ عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي ـ ط الأولى ١٣٧١هـ ـ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٤١- الجواب المختار لهداية المحتار ـ محمد صالح العثيمين ـ ط الأولى ١٤١٠هـ

ـ مطبعة دار طيبة الرياض.

٤٢ – حقيقة التوسل والوسيلة موسى محمد علي ط الثانية ١٤٠٥هـ عالم الكتب بيروت لبنان.

٤٣ – حلية الأولياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ـ ط ١٣٥٧هـ ـ المكتبة السلفية ـ دار الفكر.

٤٤ – الدرر السنية ـ أحمد بن زيني دحلان ـ ط ١٣١٩هـ المطبعة الميمنية ـ مصطفى البابي الحلبي وأخويه بمصر.

٤٥ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي رحمه الله ـ ط ١٣١٤هـ ـ المطبعة الميمنية بمصر ـ الناشر : دار المعرفة بيروت لبنان.

٤٦ – ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي ـ ط الأولى ١٤٠٨هـ ـ دار القلم بيروت لبنان.

٤٧ – رسالة الشرك ومظاهره مبارك محمد الميلي ط الأولى ١٤٠٩هـ مكتبة الإيمان للطبع والنشر والتوزيع.

٤٨ – روح المعاني ـ لشهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ـ النشرة الثانية إدارة الطباعة المنيرية ـ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٤٩ – روضة الناظر ـ لابن قدامه المقدسي ط الخامسة ١٣٩٥هـ المطبعة السلفية.

٥٠ – سعادة الدارين ـ إبراهيم السمنهودي المنصوري ـ ط ١٣١٩هـ ـ مطبعة جريدة الإسلام بمصر.

٥١ – سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ

ط الرابعة ١٣٩٨هـ المكتب الإسلامي.

٥٢- سنن الدارمي - عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل التميمي الدارمي - ط ١٣٩٨هـ دار الفكر القاهرة.

٥٣- السير والمغازي، محمد بن إسحاق المطلبي - ط الأولى ١٣٩٨هـ - دار الفكر.

٥٤- شرح صحيح مسلم - للإمام النووي - ط ١٤٠١هـ - دار الفكر للطباعة والنشر.

٥٥- شرح الطحاوية - علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي - ط الرابعة ١٣٩١هـ المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت لبنان.

٥٦- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى - القاضي عياض - المطبعة العثمانية ١٣١٣هـ.

٥٧- شفاء السقام في زيارة خير الأنام - أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي - ط الأولى ١٣١٨هـ - المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق (مصر).

٥٨- الصارم المنكي في الرد على السبكي - أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبدالهادي الحنبلي - ط ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء - الرياض المملكة العربية السعودية عام ١٤٠٣هـ.

٥٩- صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري - المكتبة الإسلامية - إستانبول تركيا.

٦٠- صفة الصفوة - جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي - ط الثالثة ١٤٠٥هـ - دار المعرفة بيروت لبنان.

٦١- الصواعق المرسلة الشهابية سليمان بن سحمان - النشرة الأولى ١٤٠٩هـ - دار

العاصمة الرياض.

٦٢- صيانة الإنسان ـ محمد بشير السهسواني الهندي ـ ط الخامسة ١٣٩٥هـ ـ مطابع نجد الرياض.

٦٣- الضعفاء والمتروكين ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ط الأولى ١٤٠٦هـ ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٦٤- الضياء الشارق ـ للشيخ سليمان بن سحمان ـ ط الخامسة ١٤١٤هـ ـ رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

٦٥- الطبقات الكبرى ـ محمد بن سعد ـ ط ١٤٠٠هـ ـ دار بيروت للطباعة والنشر بيروت لبنان.

٦٦- عمل اليوم والليلة أبو بكر بن السني تحقيق عبد القادر عطا ط ١٣٩٩هـ دار المعرفة - بيروت لبنان.

٦٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ تصوير ط الأولى ١٣٩٨هـ مطابع دار العربية بيروت لبنان.

٦٨- الفتاوى الكبرى لابن تيمية دار الكتب الحديثة مطبعة العاصمة القاهرة ١٣٨٥هـ.

٦٩- فتاوى اللجنة الدائمة ـ جمع وترتيب أحمد عبد الرزاق الدويش ط الأولى ١٤١١هـ.

٧٠- فتح الباري ـ للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ تصحيح الشيخ عبد العزيز بن باز ـ نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

٧١- الفروق للإمام شهاب الدين الصنهاجي القرافي ـ دار المعرفة ـ بيروت لبنان.

٧٢- فيض القدير ـ شرح الجامع الصغير ـ للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي ط الأولى ١٤١٥هـ ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٧٣- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

٧٤- قاعدة جليلة لابن تيمية تحقيق : ربيع هادي المدخلي ط الأولى ١٤١٢هـ

٧٥- القاموس المحيط ـ محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ـ ط ١٣٩٨هـ ـ دار الفكر بيروت لبنان.

٧٦- القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي ـ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد السلام خضر نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

٧٧- القول الفصل النفيس ـ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ـ ط ١٤٠٥هـ دار الهداية الرياض.

٧٨- الكاشف للإمام الذهبي ـ ط الأولى ١٤٠٣هـ ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٧٩- الكامل في ضعفاء الرجال ـ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ـ ط الثالثة ١٤٠٩هـ دار الفكر.

٨٠- كشف غياهب الظلام ـ سليمان بن سحمان ـ ط الثانية ١٣٧٦هـ ـ مطابع الرياض.

٨١- كشف ما ألقاه إبليس ـ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ـ النشرة الأولى

١٤١٥هـ دار العاصمة الرياض.

٨٢- اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ـ للعلامة جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ط الثانية ١٣٩٥هـ ـ دار المعرفة بيروت لبنان.

٨٣- لسان العرب ـ للعلامة محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ابن منظور) دار لسان العرب بيروت لبنان.

٨٤- لسان الميزان ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ ط الأولى ١٤٠٨هـ ـ دار الفكر بيروت لبنان.

٨٥- النهاية في غريب الحديث والأثر ـ للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك ابن محمد الجزري (ابن الأثير) ـ ط الأولى ١٣٨٣هـ ـ الناشر : المكتبة الإسلامية.

٨٦- مجمع الزوائد ـ علي بن أبي بكر الهيثمي ـ ط ١٤٠٦هـ ـ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

٨٧- المستدرك على الصحيحين ـ للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري الناشر : مكتبة المطبوعات الإسلامية بيروت لبنان.

٨٨- مصباح الظلام. عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ ، صححه وعلق عليه محمد حامد فقي مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر.

٨٩- المعجم الأوسط ـ للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني ـ ط الأولى ١٤٠٥هـ ـ مكتبة المعارف بالرياض.

٩٠- المعجم الكبير ـ للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ـ ط الثانية ١٩٨٤م.

٩١- الموافقات في أصول الشريعة ـ لابن إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي

الغرناطي ـ دار الفكر العربي.

٩٢- الموضوعات ـ عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ـ ط الأولى ١٤١٥هـ ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٩٣- ميزان الاعتدال ـ محمد بن أحمد الذهبي ـ ط ١٣٨٢هـ دار إحياء الكتب العربية . وط ١٤١٦هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

* * *

فهـــرس الموضوعـــات

الموضـوع	الصفحة

* * *